أسلوب النعت بالمبهم في النظم القرآني

(دراسة تفسيرية للنعت بـ : "اسم الإشارة و (ما) الإبهامية")

إعداد الدكتور

إبراهيم علي علي عامر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

في كلية أصول الدين بطنطا

أسلوب النعت بالمبهم في النظم القرآني

(دراسة تفسيرية للنعت بـ : "اسم الإشارة و (ما) الإبهامية")

إبراهيم علي علي عامر

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر، طنطا، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: EbraheemAamer.27@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن بعض أسرار النعت بالمبهم في النظم القرآني؛ من خلال بيان الأصول النظرية للأسلوب، ومن ثم الدلالات التفسيرية للنعت بـــ (اسم الإشارة و"ما" الإبهامية) ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من ثلاثة مباحث؛ خصص أولها للتعريف بمصطلحات البحث، ثم نبذة عن موقع الأساليب اللغوية من النظم القرآني. وخصص الثاني لبيان أصول أسلوب النعت بين اللغة والتفسير؛ من خلال مطلبين: النعت في الدرس اللغوي، والنعت في الدرس التفسيري. واختص الثالث ببيان الدلالات التفسيرية للنعت بالمبهم؛ من خلال مطلبين: الدلالات التفسيرية للنعت باسم الإشارة، والدلالات التفسيرية للنعت بـــ (ما) الإبهامية ، وقد انتهج البحث مناهج: الاستقراء والتحليل والوصف؛ من خلال تتبع مواضع أسلوب النعت بالمبهم في القرآن الكريم، واستقراء دراسة اللغويين والمفسرين لكلٍ، ثم تحليل ذلك لاستنباط الدلالات التفسيرية والأسرار البيانية لكل موضع، وتسجيل ذلك وصفًا ، وخلص البحث إلى نتائج، أهمها: أن في النعت بأسماء الإشارة دلالات تفسيرية، تظهر من خلال سياق الآية ومقصودها؛ منها: زيادة تبيين المنعوت وتوضيحه وتعيين المراد به بالنسبة للمخاطب، وزيادة تمييزه في حال إمكان وقوع الاشتراك فيه. والاتساق والتناسب مع مقصود الآية وسياقها. والإشارة إلى جوانب دلالية غير لفظية في الكلام.

والاتساق والتناسب مع منهج السورة من التحديد والتعيين. وأن في النعت بـــ (ما) الإبهامية دلالات تفسيرية، تظهر من خلال سياق الآية ومقصودها؛ منها: زيادة المنعوت شياعًا. والاتساق والتناسب مع مقصود الآية والجملة وسياقهما وغرضهما. وتوكيد المعنى المراد من المنعوت وتخصيصه. وأن في النعت بالمبهمات عمومًا أسرار بيانية؛ منها: تحقيق أغراض بيانية متنوعة؛ مثل: التعظيم – التحقير – التأكيد – بيان أهمية المنعوت – ترجيح إرادة حقيقة المنعوت – تهويل الشأن. وتحقيق مفهوم الإيجاز. تحقيق تماسك النص. وتحقيق التآلف بين أنماط نظم الكلام. ومناسبة النعت دائمًا للمقام الواردة فيه الآية والجملة.

الكلمات المفتاحية: القرآن – الإعجاز البياني –الأساليب اللغوية – الدلالات القرآنية – لغة القرآن.

The method of using the ambiguous epithet in the Qur'anic arrangement "An explanatory study of the adjective by:" (demonstrative pronoun and (what) of ambiguous)

Ibrahim Ali Ali Amer
Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an, Faculty of Fundamentals of Religion in Tanta, Al-Azhar University, Tanta, Arab Republic of Egypt.
Email: EbraheemAamer.27@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to reveal some secrets of the ambiguous epithet in the Qur'anic systems; By explaining the theoretical origins of the style, and then the explanatory connotations of the epithet with (the noun of the sign and the vague "what").The nature of the research required that it consist of three sections; The first is devoted to defining the search terms, then an overview of the location of linguistic methods from the Qur'anic systems. The second was devoted to explaining the origins of the epithet style between language and interpretation; Through two demands: the participle in the linguistic lesson, and the adjective in the explanatory lesson. The third was devoted to clarifying the explanatory connotations of the adjective ambiguous; Through two demands: the explanatory connotations of the adjective by the name of the reference, and the explanatory connotations of the adjective with (what) the thumb.The research has adopted methods: induction, analysis and description; By tracing the positions of the ambiguous epithet style in the Holy Qur'an, and extrapolating the study of linguists and exegetes for each, then analyzing it to elicit the explanatory connotations and the graphic secrets of each place, and recording that as a description.The research concluded

with results, the most important of which are: that the epithet with reference names has explanatory connotations, which appear through the context of the verse and its purpose; Including: increasing the clarification and clarification of the adjective, specifying what is meant by it for the addressee, and increasing its distinction in the event that participation in it is possible. Consistency and proportionality with the intent of the verse and its context. And the reference to semantic non-verbal aspects of speech. Consistency and proportionality with the approach of the surah of identification and appointment. And that the adjective with (what) of the thumb has explanatory connotations, which appear through the context and purpose of the verse; Including: Increasing the traits commonly. Consistency and proportionality with the intent of the verse and sentence, their context and purpose. And confirmation of the meaning intended Almnouot and allocated. and that the adjectives of ambiguities in general are graphic secrets; Including: achieving various graphic purposes; Such as: glorification - contempt - affirmation - statement of the importance of the attributes - weighting the will of the reality of the attributes - exaggerating the matter. and achieve the concept of brevity. achieve coherence of the text. Achieving harmony between patterns of speech systems. The adjective is always appropriate for the place in which the verse and sentence are mentioned.

Keywords: the Qur'an , graphic miracles , linguistic methods , Qur'anic semantics , the language of the Qur'an .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل كتابه بلسان عربي مبين؛ هدى للمتقين، وذكرًا للعالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الأعظم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبعهم إلى يوم الدين وسلّم.

أما بعد ...

فمنذ نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين؛ تحددت العلاقة السامية بين العربية والقرآن؛ فأضحت لغةُ القرآن الكريم ميدانَ البراعة لتطبيق أساليب العربية وفنونها من جهة، والكشف عن ثرائها وقوتها من جهة أخرى.

واستدعت تلك الحال دراسة أساليب القرآن الكريم ودلالات كلٍ؛ محاولةً لفهم لغة القرآن ومعانيه واستنباط هداياته، ومن ثمّ الكشفُ عن براعة أساليب القرآن الكريم، ودقة منهجه في استدعاء تلك الأساليب وتوظيفها؛ بصورةٍ تسهم في الكشف عن إعجاز النظم، وحث على ذلك العلماء [(١)].

وقد ذكر العلماء أن ملاك استعمال الأساليب المتنوعة والتراكيب المتعددة هو: توفير المعاني، وأداء ما في نفس المتكلم بأوضح عبارة وأخصرها؛ ليسهل اعتلاقها بالأذهان، وهذا هو مفهوم فكرة النظم وأول مقاصدها [(٢)].

وقد حاز القرآن الكريم قصب السبق في هذا المضمار؛ فجاء بأفصح الألفاظ في أحسن طرق التأليف، مع صحة المعاني، ودقة المناسبة في جميع مقامات الخطاب [(٣)].

---

(١) يراجع: الرسالة، الإمام محمد بن إدريس الشافعي (القاهرة: مكتبه الحلبي، الأولى، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م) (٤٠/١).

(٢) يراجع: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م) (١١/١).

(٣) يراجع: بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (القاهرة: دار المعارف، الثالثة، ١٩٧٦م) (ص: ٢٧، ٢٨).

ومن طرائق التعبير التي تضمنها النظم القرآني: النعت بالمبهم، وهو نمط تعبيري يثير التساؤل؛ بجمعه بين طريقة النعت المفترض كونها في الغالب بيانًا أو توضيحًا وبين كون النعت واقعًا بلفظ مبهم؛ لذا كان من المناسب طرق باب بحث المسألة؛ للكشف عن أصولها ودلالاتها التفسيرية وأسرارها البيانية.

من هنا جاءت هذه الدراسة الموجزة، تحت عنوان: (أسلوب النعت بالمبهم في النظم القرآني "دراسة تفسيرية للنعت باسم الإشارة و(ما) الإبهامية ").

- حدود البحث:

يركز البحث على دراسة موقع النعت بالمبهم (اسم الإشارة، وما الإبهامية) من النظم القرآني؛ من خلال بيان الدلالات التفسيرية والأسرار البيانية لكل موضع؛ وَفق وروده في القرآن الكريم حسب ترتيب المصحف الشريف، ويسبق ذلك تلخيص لقواعد النعت وأصوله بين اللغة والتفسير.

- أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من خلال أنه:

١- يشارك في بيان بعض متعلقات إعجاز النظم القرآني؛ باعتباره أول وجوه الإعجاز وجودًا ورتبة.

٢- يسهم - إلى حد ما - في تيسير إدراك فكرة النظم؛ من خلال التعرض لبيان بعض أنماطه وأساليبه ودلالاتها.

٣- يشارك في بيان صور من براعة البيان القرآني، ودقة تراكيبه في استعمال الأساليب اللغوية.

٤- يسهم في إثراء الدرس التفسيري المعاصر؛ من خلال الوقوف على جهود المفسرين واللغويين المتعلقة بالموضوع، والإفادة منها؛ استنباطًا وتحليلًا.

٥- يسير وفق منهج الانتصار الذاتي للقرآن الكريم؛ من خلال الكشف عن واقع بيانه وبراعة أساليبه، وتوظيف ذلك في الدرس الإعجازي؛ خاصةً وأن

بعض أصحاب الفكر غير المستقيم يحاولون التسلل عبر الدرس اللغوي للقرآن الكريم.

٦- يسهم في دراسة بعض المسائل المتعلقة بإعراب القرآن الكريم، وموقعها من المعاني والتفسير.

- مشكلة البحث:

تتلخص المشكلة الرئيسة للبحث في: كون النعت وسيلة من وسائل البيان والإيضاح؛ ومدى اتساق ذلك مع طريقة النعت بالمبهم (اسم الإشارة – ما الإبهامية) في النظم القرآني، وأثر هذا النمط من التعبير في معاني القرآن الكريم وبيانه، وإمكانية توظيف ذلك في الدرس الإعجازي. ويمكن تفصيل مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية:

- ما المراد بأسلوب النعت بالمبهم؟
- ما علاقة الأساليب اللغوية بفكرة النظم؟
- ما معالم الدرس اللغوي للنعت بالمبهمات؟
- ما معالم الدرس التفسيري للنعت بالمبهمات؟
- هل في النعت بأسماء الإشارة دلالات تفسيرية؟
- هل في النعت بـــ (ما) الإبهامية دلالات تفسيرية؟
- هل في النعت بالمبهمات أسرار بيانية؟

- أهداف البحث:

يمكن إجمال أهداف البحث في:

١- بيان مفهوم النعت بالمبهم في النظم القرآني.

٢- المساهمة في الكشف عن موقع الأساليب اللغوية من النظم القرآني والدلالات القرآنية.

٣- الكشف عن الدلالات التفسيرية لأسلوب النعت بالمبهم في القرآن الكريم.

٤- الكشف عن الأسرار البيانية لأسلوب النعت بالمبهم في القرآن الكريم.

٥- توظيف درس أسلوب النعت بالمبهم في الدرس الإعجازي.

- الدراسات السابقة:

وقفت على عدد الدراسات التي عالجت مسائل تتعلق بأصول الموضوع وأشارت إلى فروعه؛ وهي حسب أولية اطلاعي عليها كالآتي:

١- كتاب: جواهر القرآن لأبي الحسن علي بن الحسين الأصبهاني المعروف بالباقولي، مطبوع، ضمن سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، جمهورية مصر العربية، حيث تناول الكتاب في الباب الثامن والسبعين (ما جاء في التنزيل وقد وصف المضاف بالمبهم)، ويعتبر ما في هذا الكتاب أصلًا لفكرة هذا البحث.

٢- كتاب: "أسلوب النعت في القرآن الكريم"، قاسم محمد سلامة الشبول، مطبوع ومنشور، دار عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ٢٠١٠م.

وقد تناول الكتاب: في الباب الأول النعت في الدراسات اللغوية (مركزًا على الجانب النحوي)، وفي الباب الثاني النعت في القرآن الكريم (النعت المفرد المشتق- النعت الجملة – النظام التركيبي لجملة النعت والمنعوت- تحليل لبعض النماذج من القرآن الكريم)، وتضمن الكتاب أيضًا إحصاءً لأنواع النعت في القرآن الكريم. ويختلف بحثي عنه في الموضوع والمنهج.

أما الموضوع؛ فالكتاب يهتم بدراسة أسلوب النعت بصورة عامة في القرآن الكريم من خلال وجهة النحوية، بينما يركز بحثي على النعت بالمبهم وموقعه من النظم القرآني، وأما المنهج؛ فالكتاب في الغالب نظري وصفي، بينما بحثي في الغالب تفسيري تطبيقي.

٣- بحث: " النعت في القرآن الكريم: دراسة وصفية تحليلية"، جلال محمود محمد داوود، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٨م.

وقد تكونت الرسالة من: تمهيد موجز في مفهوم النعت، الفصل الأول: النعت نظريًا (أحكام النعت – المعاني المستفادة من النعت)، الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية (النعت المفرد في القرآن الكريم – النعت التركيبي في القرآن الكريم – النعت السببي في القرآن الكريم)، وقد تميزت الرسالة بإشارات دلالية في جانبيها النظري والتطبيقي. ويختلف بحثي عنها في الموضوع والمنهج.

أما الموضوع؛ فقد اهتم البحث بالدراسة اللغوية للنعت في القرآن الكريم، بينما يركز بحثي على أسلوب النعت بالمبهم وموقعه من النظم القرآني، وأما المنهج؛ فالرسالة يغلب عليها المنهج اللغوي، بينما بحثي تفسيري تطبيقي.

– منهج البحث:

ينتهج البحث بصورة عامة مناهج: الاستقراء غير التام، والتحليل، والوصف. ويتمثل الاستقراء في تتبع الجزئيات المتعلقة بالبحث من خلال ما توفر من المراجع والمصادر. ثم يتبعه التحليل لكل ما جُمع من جزئيات تتعلق بالبحث؛ لاستنباط ما فيها من فوائد وإضاءات. ويأتي الوصف لتسجيل خلاصة ما نتج عن كلٍ من الاستقراء والتحليل.

وتتلخص طريقة الدراسة التفسيرية لأسلوب النعت بالمبهم في: بيان مقصد جملة النعت وغرضه، وموقعها من نظم الآية، ودور استعمال أسلوب النعت بالمبهم في تحقيق مقصد الجملة والآية وأغراضهما من المعاني والدلالات، وما يتعلق بذلك من أسرار بيانية تتعلق ببراعة النظم، ودقة الأسلوب، والتناسب وغيرها، بصورة موجزةٍ في كلٍ.

هذا وقد التزمت عددًا من الخطوات المنهجية في البحث، أهمها:

١– عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها في صلب البحث، عقب ذكر الآية.

٢- عزو أقوال العلماء وكل ما أفدته من كلامهم إلى مصادرها، واتبعت لذلك طريقتين:

- الأولى: إذا كان المنقول نصًا؛ يوضع بين علامتي تنصيص "....."، ويكون التوثيق في الحاشية بذكر اسم المصدر مباشرة.

- الثانية: إذا كان المنقول غير نص (صياغة جديدة للكلام، أو استيعاب لمعناه) لا يوضع بين علامتي تنصيص "....."، ويكون ذكر اسم المرجع في الحاشية مسبوقًا بـــكلمة: يراجع، أو يراجع في هذا....

٣- لم أترجم للأعلام الواردين في صلب البحث؛ قصدًا للإيجاز والاختصار.

٤- أذكر بيانات المرجع أو المصدر كاملة، في أول ذكر له، ثم أقتصر في المرات التالية على ذكر اسم الكتاب والصفحة فقط.

٥- أقوم بالتعريف بالمصطلحات الضرورية من مصادرها، أول ورود لها في البحث.

٦- قد أذكر في الحاشية تفصيلات أراها مهمة لتوضيح ما أشير إليها إجمالًا في الصلب.

- تقسيم البحث:

يتألف البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تفصيلها كالآتي:

- المقدمة وتتضمن: حدود البحث، وأهدافه، وأهمية الموضوع، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

- التمهيد: تعريفات ومداخل:

- المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

- المطلب الثاني: نبذة عن علاقة الأساليب اللغوية بفكرة النظم.

- المبحث الأول: النعت بين اللغة والتفسير:

- المطلب الأول: النعت في الدرس اللغوي.

- المطلب الثاني: النعت في الدرس التفسيري.
- **المبحث الثاني: الدلالات التفسيرية للنعت بالمبهم:**
- المطلب الأول: الدلالات التفسيرية للنعت باسم الإشارة.
- المطلب الثاني: الدلالات التفسيرية للنعت بـــ (ما) الإبهامية.
- الخاتمة: وتتضمن:
- أولًا: النتائج.
- ثانيًا: التوصيات.
- ثالثًا: ثبت بالمصادر والمراجع.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله تعالى وبارك على سيدنا محمد رسول الله الأعظم

وعلى آله وصحبه وسلّم

التمهيد

تعريفات ومداخل

يدور محور البحث حول عدد من المصطلحات، الموصلة إلى إدراك مفهومه؛ وهي: الأسلوب– النعت – المبهم – النظم؛ وصولًا إلى تعريف إجرائي بعنوان البحث، كما يقتضي موضوع البحث إيراد نبذة عن موقع الأساليب اللغوية من فكرة النظم؛ وهذا ما أتناوله بإيجاز في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث:

– التعريف بالأسلوب:

الأسلوب في اللغة:

الأُسلوب واحد (الأساليب)، ويطلق على كل شيء امتد على غير امتناع حقيقةً ومجازًا، والمعنى المحوري لمادته (س ل ب): نزعٌ بقوة لما يعلق ممتدًّا بحيّز آخر، ويلزمه تجرد الحيز الآخر؛ وبناءً على هذا المعنى المحوري استعمل الأسلوب في معانٍ؛ منها: الطريق الممتد، والوجه، والمذهب، والفن، والطريقة، والنمط، والسمة الغالبة، والوسيلة (طريقة الوصول للمطلوب)، كما يقال للسطر من النخيل: أسلوب؛ لامتداده، ولعنق الأسد: أسلوب؛ لأنها لا تثنى، وللمتكبر: أنفه في أسلوب إذا لم يلتفت يمنة ولا يسرة [1].

(١) يراجع: تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ٢٠٠١م) [مادة: س ل ب] (٣٠٢/١٢)؛ ومجمل اللغة، أبو الحسين ابن فارس (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) [مادة: س ل ب] (ص: ٤٧٠)؛ وأساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) [مادة: س ل ب] (٤٦٨/١)؛ والكليات، أبو البقاء الكفوي (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت) (ص: ٨٢، ٨٣)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (الكويت: دار الهداية، الأولى، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م) [مادة: س ل ب] (٧١/٣)؛ ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أ.د أحمد مختار عمر (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م) [مادة: س ل ب] (١٠٨٩/٢)؛ والمعجم الاشتقاقي المؤصل، أ.د/ محمد محمد جبل (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م) [مادة: س ل ب] (١٠٥٥/٢).

ويدور الأسلوب المقصود في البحث حول معاني: الفن والطريقة والنمط؛ لما في أسلوب البدل من جوانب فنية وبيانية مطردة ومتميزة عن غيرها من أنماط الكلام والنظم.

الأسلوب في الاصطلاح:

تعدد تعبيرات الأدباء واللغويين عن مفهوم الأسلوب، ويمكن تلخيص ذلك في الآتي:

– عُرّف الأسلوب بأنه: "الضرب من النظم والطريقة فيه"(١).

وهذا يعني أن الأسلوب حاصل طريقة خاصة في ترتيب المعاني، وما تحويه هذه الطريقة من إمكانات نحوية (توخي معاني النحو)؛ والأخيرة هي التي تميز ضربًا من ضرب وأسلوبًا من أسلوب (٢).

ويمثل الأسلوب بهذا المفهوم لونًا من ألوان النظم وصورةً من صوره التي لا تنفك عنه؛ بمعنى أن كلًا منهما أساسه المعاني (٣).

– عُرّف الأسلوب بأنه: " هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية" (٤)، وذلك على أساس أن للبناء اللغوي جانبين؛ جانب المعاني، وجانب الألفاظ؛ فيختص الأسلوب بالتأليفات المعنوية، بينما يختص النظم بالتأليفات اللفظية، والأسلوب بهذا المفهوم مقابل للنظم مغاير له (٥).

---

(١) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م) (ص: ٢٩٦).

(٢) يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٤٥)؛ وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، أ.د عبد العظيم المطعني (القاهرة: مكتبة وهبة، الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م) (٤٢/١).

(٣) يراجع: البلاغة والأسلوبية، أ.د محمد عبد المطلب (بيروت، القاهرة: مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، الأولى، ١٩٩٤م) (ص: ٢٩).

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الثالثة، ١٩٨٦م) (٤٦٩/١).

(٥) يراجع: البلاغة والأسلوبية (ص: ٢٨).

– عُرّف الأسلوب بأنه: "المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه"[١].

ووفق هذا المفهوم يكون الأسلوب صورة ذهنية خالصة تملأ النفس وتطبع الذوق؛ وتتكون تلك الصورة من ذخيرة لغوية على الوضع الذي رسمته قواعد النحو والصرف والبلاغة والعروض .... [٢].

والأقرب إلى مقصود البحث هو التعريف الأول؛ لما فيه من تحقيق الارتباط بين مفهومي الأسلوب والنظم.

– التعريف بالنعت:

النعت في اللغة:

النعت اسم ومصدر فعله (نعَتَ)، يدل أصله اللغوي على: وصف الشيء بما هو فيه مطلقًا، وقيل هو: وصف الشيء بما فيه من حسن [٣].

(١) المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون (القاهرة: المطبعة الأزهرية المصرية، الأولى، ١٣١١هـ) (ص: ٣٦٨).

(٢) يراجع: البلاغة والأسلوبية (ص: ٣٤)؛ والأسلوب، أحمد الشايب (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الثانية عشرة، ٢٠٠٣م) (ص: ٤٤).

(٣) يراجع: معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، الأولى، د.ت) [مادة: ن ع ت] (٧٢/٢)؛ ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) [مادة: ن ع ت] (٤٤٨/٥)؛ ومعجم اللغة العربية المعاصرة [مادة: ن ع ت] (٢٢٣٧/٣).

النعت [١] في الاصطلاح:

تعددت تعريفات النحاة للنعت في الاصطلاح [٢]، ويلاحظ على بعض هذه التعريفات العموم؛ بمعنى أنها ليست حدًا في الحقيقة، وإنما هي من باب التقريب، وبهذا تكون غير جامعة ولا مانعة، كما يلاحظ على بعضها التركيز على الدور الوظيفي والدلالي للنعت، أو التركيز على الإشارة إلى أنواعه أكثر من بيان حقيقته وحده [٣].

والتعريف الأقرب إلى طبيعة البحث تعريفه بأنه: " تابع يُكمل متبوعَه، أو سببيّ المتبوع، بمعنى جديد يناسب السياق، ويحقق الغرض"[٤].

حيث يصدق على جميع أنواع النعت، كما أنه يشير إلى مقاصد النعت ووظائفه وقسميه، بالإضافة إلى تمييزه للنعت عن غيره من التوابع [٥].

---

(١) تنوعت تسمية النحاة لمفهوم النعت؛ فسماه بعضهم (نعتًا)، وبعضهم (صفةً)، وهما بمعنى واحد عند الجمهور، وفرق بينهما بعضهم؛ فقالوا: إن النعت يكون بالحلية، نحو: "طويل"، و"قصير"، والصفة تكون بالأفعال، نحو: "ضارب" و"خارج"؛ وعلى هذا يقال للباري سبحانه: موصوف، ولا يقال له: منعوت، وعلى الأول هو موصوف ومنعوت. يراجع: اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري (دمشق: دار الفكر، الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م) (١/ ٤٠٤)؛ وشرح المفصل، أبو البقاء يعيش بن علي الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م) (٢٣٢/٢).

(٢) يراجع في تلك التعريفات تفصيلًا: اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جنيّ (الكويت: دار الكتب الثقافية، الأولى، د.ت) (ص: ٨٢)؛ و شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (الكويت: الطبعة العصرية، الأولى، ١٩٧٧م) (٤١٣/٢)؛ و المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (بيروت: مكتبة الهلال، الأولى، ١٩٩٣م) (ص: ١٤٩)؛ و نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م) (ص: ١٥٨)؛ و البديع في علم العربية، ابن الأثير الجزري (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٢٠هـ) (٣٠٩/١)؛ و شرح المفصل لابن يعيش (٢٣٢/٢)؛ والكافية في علم النحو، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (القاهرة: مكتبة الآداب، الأولى، ٢٠١٠م) (ص: ٢٩)..

(٣) يراجع: شرح المفصل لابن يعيش (٢٣٢/٢).

(٤) النحو الوافي، عباس حسن (القاهرة: دار المعارف، الخامسة عشرة، د.ت) (٤٣٧/٣).

(٥) التوابع: جمع تابع، وهو: المشارك لما قبله في إعرابه الحاصل والمتجدد غير خبر، وهي خمسة: التوكيد، والنعت، وعطف بيان، وعطف نسق، والبدل. يراجع: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن علي بن محمد الأُشْمُوني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) (٣١٥/٢).

- التعريف بالمبهم:

المبهم في اللغة:

أصله اسم مفعول من الإبهام، وأصل مادته [ب هـ م]: أن يبقى الشيء المحسوس لا يعرف المأتى إليه، ولا يكون سبيل إلى تمييزه من غيره؛ ومنه قولهم: أبهم الباب؛ أي: أغلقه؛ وبناءً على هذا الأصل استعمل المبهم (مجازًا) بمعنى المشتبه (الغامض – ما يصعب إدراكه)؛ يقال: أَبْهَم الأَمْر، أي: اشْتَبَهَ ، والمستغلق؛ يقال: اسْتَبْهَمَ عليه الكلام؛ أي: استغلَقَ (استعجم فلم يقدر على الكلام)[1].

المبهم في الاصطلاح:

لا يتجاوز مفهوم المبهم في الاصطلاح العام أصله اللغوي واستعمالاته؛ فيطلق على كل أمر فيه غموض أو تعتريه صعوبة إدراك.

وقد استُعمل المصطلح في غير واحد من العلوم؛ أهمها من حيث العلاقة بموضوع البحث:

أ- علوم القرآن: فقد اختص به أحد علوم القرآن؛ وهو علم مبهمات القرآن؛ ويقصد بها: ما تضمنه القرآن الكريم من الأشخاص والأشياء والأماكن وغيرها ممن لم يسم باسمه العلم المعروف عند نقلة الأخبار والعلماء [2].

---

(١) يراجع: معجم العين [مادة: ب هـ م] (٦٢/٤)؛ والصحاح، أبو نصر إسماعيل الجوهري (بيروت: دار العلم للملايين، الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) [مادة: ب هـ م] (٥/ ١٨٧٥)؛ وتاج العروس [مادة: ب هـ م] (٣٠٩/٣١)؛ ومعجم مقاييس اللغة [مادة: ب هـ م] (٣١١/١)؛ وأساس البلاغة [مادة: ب هـ م] (٨٥/١)؛ ومعجم اللغة العربية المعاصرة، [مادة: ب هـ م]، (٢٧٥/١)؛ والمعجم الاشتقاقي المؤصل [مادة: ب هـ م] (١٩٠/١).

(٢) يراجع: التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (القاهرة: مكتبة الأزهر الكبرى، الأولى، ١٣٥٦هـ-١٩٣٨م) (ص: ٨)؛ وغرر التبيان في من لم يسم في القرآن، شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن

ب- أصول الفقه: واستعمل فيه مصطلح **(المبهم)** مرادًا به اللفظ "الذي لا يعقل معناه، ولا يدرك مقصود اللافظ ومبتغاه"؛ وهذا في اصطلاح المتكلمين [(١)]، بينما يشمل مفهوم الإبهام عند السادة الحنفية عددًا من المصطلحات؛ أهمها:

- الخفي: وهو "اسم لما اشتبه معناه، وخفي المراد منه بعارض في الصيغة، يمنع نيل المراد بها إلا بالطلب"

- المجمل: وهو "ما لا يفهم المراد منه إلا باستفسار من المجمل وبيان من جهته يعرف به المراد".

- المشكل: وهو "ما يشتبه المراد منه بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد إلا بدليل يتميز به من بين سائر الأشكال"، وهو قريبٌ من المجمل.

- المتشابه: وهو " ما انقطع رجاء معرفة المراد منه لمن اشتبه فيه عليه" [(٢)].

ج- علم النحو: وهو المقصود في عنوان البحث؛ حيث يطلق النحاة مصطلح **(المبهمات)** على: الموصولات وأسماء الإشارة ونحوها مما يدل بلفظه على غير معين [(٣)].

جماعة (دمشق- بيروت: دار قتيبة، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) (ص: ١٩١، ١٩٢)؛ ومعجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي (دمشق: دار القلم، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) (ص: ٢٣٨).

(١) البرهان في أصول الفقه، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) (١٥٣/١)، ويراجع: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، (الرياض: جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) (١/ ١٤٢)؛ والمنخول من تعليقات الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (بيروت- دمشق: دار الفكر المعاصر- دار الفكر، الثالثة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) (ص: ٢٤٦)؛ ومناشئ الدلالة في القرآن الكريم، أ.د محمد سالم أبو عاصي (القاهرة: دار الحرم، الأولى، ٢٠٢١م) (ص: ٩٥-١٠١).

(٢) أصول السرخسي، شمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسي (بيروت: دار المعرفة، د.ط.ت) (١/ ١٦٧- ١٦٩). ويراجع: ميزان الأصول في نتائج العقول، علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (الدوحة: مطابع الدوحة الحديثة، الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) (٣٥٣/١- ٣٥٥).

(٣) يراجع: البديع في علم العربية (٢/ ٣٩)؛ المقدمة الجزولية في النحو، أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (القاهرة: مطبعة أم القرى - دار الغد العربي، د.ط.ت) (ص: ٦٥)؛ وتمهيد

وعلة تسميتها عندهم بـــ(المبهمات): "وقوعها على كل شيء؛ من حيوان، أو نبات، أو جماد، وعدم دلالتها على شيء معين، مفصَّل مستقل إلا بأمر خارج عن لفظها؛ فالموصول لا يزول إبهامه إلا بالصلة، نحو: رجع الذي غاب، واسم الإشارة لا يزول إبهامه إلا بما يصاحب لفظه من إشارة حسية" (١).

من خلال ما سبق يمكن تعريف أسلوب النعت بالمبهمات المقصود في البحث بأنه: طريقة استعمال أحد المبهمات (اسم الإشارة – ما الإبهامية) تابعًا يكمل متبوعه أو سببي المتبوع بمعنى جديد، يناسب السياق، ويحقق الغرض.

والمقصود بالمبهم في البحث تحديدًا: أسماء الإشارة، و(ما) النكرة التامة؛ بناءً على أن الإبهام يزول عن الأسماء الموصولة بما يلحقها من الصلة.

– التعريف باسم الإشارة:

عُرّف اسم الإشارة بأنه: ما يدل على معين بواسطة إشارة حسية باليد ونحوها، إن كان المشار إليه حاضرًا، أو إشارة معنوية إذا كان المشار اليه معنىً، أو ذاتا غير حاضرة؛ وهي "ذا" للمفرد المذكر، و"ذان وتين" للمثنى، المذكر، و"ذه وته" للمفرد المؤنثة، و"تان وتين" للمثنى المؤنث و"أولاء واولى" للجمع المذكر والمؤنث (٢).

القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محب الدين الحلبي، المعروف بناظر الجيش (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الأولى، ١٤٢٨هـ) (١/ ٤٣٢).

(١) النحو الوافي (٣٣٨/١- ٣٤٠).

(٢) يراجع: شرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٣٥٢)؛ والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي (دمشق: دار القلم - دار كنوز إشبيليا، الأولى، د.ت) (١٨١/٣)؛ وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧هـ -١٩٩٧م) (٢٠٢/١)؛ وجامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني (صيدا- بيروت: المكتبة العصرية، الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) (١٢٧/١).

- التعريف بـــ (ما) الإبهامية:

عرّفت (ما) الإبهامية بأنها: هي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته وزادته شياعًا وعمومًا، وتصلح للإطلاق على أي شيء؛ نحو "أكرم رجلًا ما"؛ أي رجلا مطلقًا غير مقيد بصفة تميزه أو تقيده [١].

ولا يعتبر الإبهام المراد في أسماء الإشارة و(ما) نقصًا أو عيبًا فيهما؛ لأن المقصود به صلاحيتها للاستعمال في كل ما تصلح فيه، وعدم وجوب قصرها على شخص أو فرد معين، كما أن إبهام أسماء الإشارة بحسب الوضع فقط، لا بحسب الاستعمال [٢].

- التعريف بالنظم:

النَّظْم في اللغة:

النظم مصدر الفعل: نَظَمَ، وأصل مادته: التأليف وضم شيء إلى شيء آخر [٣]؛ وبناءً على هذا الأصل استعمل لفظ (النظم) في معانٍ؛ أهمها:

---

(١) يراجع: الكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (بيروت: دار الكتاب العربي، الثالثة - ١٤٠٧هـ) (١/ ١١٤)؛ شرح المفصل لابن يعيش (٤٠٥/٢)؛ والنحو الوافي (٣٤٢/٣)، معاني النحو (١٣١/١)؛ ومعجم القواعد العربية في النحو والتصريف، عبد الغني الدقر (بيروت-دمشق: دار القلم، الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) (ص: ٣٩٨). ويراجع أيضًا: جامع الدروس العربية (٦٧/١) و(٢٢٣/٣)، ويراجع أيضًا: شرح قواعد الإعراب لابن هشام، محمد ابن مصطفى القُوجَوي، المعروف بشيخ زاده (بيروت - دمشق: دار الفكر المعاصر- دار الفكر، الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) (١٦٠/١، ١٦١).

(٢) يراجع: المرتجل في شرح الجمل، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب (دمشق: مجمع اللغة العربية، الأولى، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م) (ص: ٣٠٤)، والكناش في فني النحو والصرف، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الملك المؤيد صاحب حماة (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الأولى، ٢٠٠٠م) (١/ ٢٦٣).

(٣) يراجع: معجم مقاييس اللغة [مادة: ن ظ م] (٤٤٣/٥)؛ وتاج العروس [مادة: ن ظ م] (٤٩٦/٣٣).

– نظم القرآن: أي لفظه، وهي العبارة التي تشتمل عليها المصاحف صيغةً ولغةً.

– ما يقابل النثر من الكلام الموزون المقفى، وقد يطلق على الشعر، يقال: نَظَمْتُ الشِعر ونَظَّمْتُهُ (١).

وهكذا يدور النظم في اللغة حول معاني الاتساق والائتلاف والتناسب والتلاؤم بين عناصر الشيء، وتستعمل هذه المعاني في جانبي المحسوس والمعقول؛ حقيقةً أو مجازًا.

النظم في الاصطلاح:

– عرّف الإمام عبد القاهر الجرجاني فكرة النظم بأنها: " توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني أولًا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك" (٢).

ويُقصد بالمعاني النحوية أو معاني النحو: الدور الذي تؤديه الكلمة في التركيب عن طريق مكانتها في الجملة، أو طريق صياغتها، أو طريق معناها(٣).

---

(١) يراجع: معجم العين، [مادة: ن ظ م] (١٦٥/٨، ١٦٦)؛ وجمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (بيروت: دار العلم للملايين، الأولى، ١٩٨٧م) [مادة: ن ظ م] (٢/ ٩٣٥)؛ وتهذيب اللغة، [مادة: ن ظ م] (١٤/ ٢٨٠)؛ والمحيط في اللغة، أبو القاسم إسماعيل بن عباد (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م) [مادة: ن ظ م] (٣٥/١٠)؛ والصحاح [مادة: ن ظ م] (٥/ ٢٠٤١)؛ ومعجم مقاييس اللغة [مادة: ن ظ م] (٤٤٣/٥)؛ ولسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (بيروت: دار صادر، الثالثة، ١٤١٤ هـ) [مادة: ن ظ م] (١٢/ ٥٧٨)؛ والقاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) [مادة: ن ظ م] (ص: ١١٦٢)، تاج العروس [مادة: ن ظ م] (٤٩٦/٣٣، ٤٩٩)، معجم اللغة العربية المعاصرة [مادة: ن ظ م] (٣/ ٢٢٣٥).

(٢) دلائل الإعجاز (ص: ٢٨٨).

(٣) يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٦٠، ٦١)؛ ودراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أ.د/ أحمد درويش (ص: ٣٤)، (القاهرة: مكتبة الزهراء، الأولى، د.ت).

ومعنى كون النظم توخيًا لمعاني النحو: أن يضع المتكلم كل كلمة في المكان الذي يتطلبها، والسياق الذي يقتضيها، وهذا لا يخص اللفظ وحده، ولا يخص المعنى وحده؛ وإنما هو ترتيب للمعاني في النفس أولاً، ومن ثمّ ترتيب للألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس؛ فلا بد في النظم من مراعاة اللفظ والمعنى [١].

وبناءً على ما سبق يمكن تعريف فكرة النظم بصورة مفصلة بأنها: إدراك المعاني النحوية، والملاءمة بينها وبين المعاني النفسية في نسج الكلام وتركيبه، مما يؤدي إلى حسن اختيار الألفاظ، ودقة التأليف والتنسيق في التراكيب المختارة والصيغ المستعملة؛ على وجه يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن، ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب، ويربط هذه الخصوصيات بالسياق العام والغرض العام [٢].

التعريف الإجرائي بعنوان البحث:

من خلال ما سبق يمكن صياغة تعريف إجرائي بعنوان البحث، وهو: دراسة طريقة النعت بالمبهم (أسماء الإشارة وما النكرة) في القرآن الكريم؛ من حيث آثارها في التفسير ودورها في تحقيق الاتساق بين المعاني والألفاظ، وما يتعلق بذلك من صور براعة النظم، ودقة التعبير، والتناسب، ونحوها.

---

(١) يراجع: أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) (ص:١٤)؛ والبلاغة العربية المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، أ.د/ فضل حسن عباس (عمّان: دار الفرقان، الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) (ص: ١٤١).

(٢) يراجع: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، أ.د/ محمد أبو موسى (القاهرة: دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.ت) (ص: ١٨٩)؛ ودراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث (ص: ٣٦).

المطلب الثاني: نبذة عن علاقة الأساليب اللغوية بفكرة النظم:

من شأن تعريف الأسلوب بأنه "الضرب من النظم والطريقة فيه" [١] أن يوحي بعلاقة ما بين الأساليب اللغوية بصورة عامة وبين فكرة النظم.

وللكشف عن هذه العلاقة تفصيلًا لا بد من الوقوف على طبيعة العلاقة بين الأساليب اللغوية والنظم.

والجواب: أن العلاقة بين الأساليب اللغوية والنظم علاقة ترابط وتلازم؛ ذلك أن الأسلوب اللغوي بداياته نحوية، ويولد مرتبطًا بالنظم ومراعيًا له؛ ومن هنا تكون له المزية والفضل.

ويتضح هذا المعنى من خلال ما قرره النحاة والبلاغيون من أصالة مبدأ (التعلق) بين الكلم في كل من النحو والبلاغة [٢].

ولقائل أن يقول: إن هذا الارتباط ظاهر في شأن التراكيب والجمل، فما موقع المفردات التي تتكون منها العبارات من هذا الارتباط بين الأساليب اللغوية والنظم؟

فالجواب: إن الكلام الذي نستعمله للتعبير عما في نفوسنا له شطران: الأول: يختص بالمفردات التي تتكون منها الجمل والعبارات، وهذه ثابتة في الأغلب لا يمكن تغيير أصل وضعها إلا في حال الانتقال بها من الحقيقة إلى المجاز، وهذه تؤثر في الإعراب؛ بشهادة الواقع اللغوي. الثاني: ويختص بالمعنى التركيبي ويقصد به تلك العلاقات التي تربط بين معاني المفردات اللغوية عندما تركّب في جمل؛ فينتج عنها المعنى التركيبي، والوسيلة الأساسية للدلالة على المعنى

(١) يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٢٩٦)؛ والخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الرابعة، د.ت) (٣٥/١)..

(٢) دلائل الإعجاز (ص:٧، ٨).

التركيبي هي الضبط الإعرابي؛ سواءٌ في ذلك ما كان من أركان الإسناد أو من غيرها، والمعنى التركيبي بذلك هو أصل الإعراب وأساسه وسببه (١).

من هنا يمكن القول: إن الارتباط والتلازم بين النظم والأساليب والتراكيب اللغوية شامل للمستويين الإفرادي والتركيبي؛ لما بين المستويين من تلازم أصلي لا يتصور انفكاكه.

وللوقوف على حدود العلاقة بين الأساليب اللغوية والنظم ومعالمها لا بد من الانتباه إلى أمور:

– الأول: أن بداية العلاقة نحوية؛ حيث ميز النحاة بين مستويين للدرس النحوي: يهتم الأول منهما برصد الصواب والخطأ في الأداء؛ بناءً على مراعاة القواعد وعدمها، ويهتم الثاني برعاية العلاقات بين الكلم، ثم بين الجمل؛ بناءً على ما أدركوه من علاقة بينها، ثم قرر البلاغيون ما قرره النحاة واعتبروه أصلًا من أصول درسهم للنظم؛ بمعنى أن للتراكيب والأساليب النحوية دورًا أساسًا في الصياغة الفنية للنظم فضلًا عن تحديد المعنى (٢).

– الثاني: أن النظم القرآني قد وطد تلك العلاقة بين فكرة النظم وأساليب اللغة؛ من خلال ما أضافه من إمكانات كبيرة للنحو؛ من جهة البعد الجمالي للتراكيب، واستحداث طرقٍ فنية للربط بين المفردات وبين الجمل والعبارات،

(١) يراجع: دفاع عن القرآن الكريم: أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية، أ.د محمد حسن حسن جبل (ص: ١٢٥-١٣٩).

(٢) يراجع: دلائل الإعجاز (ص: ٩٨)؛ والخصائص (٣٨/١)؛ والبلاغة والأسلوبية (ص: ٣٨، ٣٩)؛ واللغة العربية معناها ومبناها، أ.د تمام حسان عمر (بيروت: دار عالم الكتب، الخامسة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) (ص: ١٨٧)؛ وعبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم، أ.د عبد القادر حسين، مجلة الفكر العربي (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٧م) (مجلد ٨/ العدد ٤٦/ ص:١٤٩).

ومن ثمّ نتجت دلالات متنوعة تتوافق مع أغراضه وأهدافه؛ رغم أنه في نهجه هذا لم يتجاوز مسالك اللغة وأصولها وخصائصها [1].

وقد يقول قائل: إن كل ما سبق أقرب إلى الكلام النظري؛ والجواب: يمكن قبول هذه الدعوى لو أيدها الواقع، لكنه يشهد بخلافها؛ من خلال ما تحويه كتب التفسير واللغة من شواهد تطبيقية على وطيد العلاقة بين الأساليب اللغوية والنظم القرآني.

يظهر ذلك واضحًا من خلال درس الإمام عبد القاهر في دلائل الإعجاز؛ حيث يؤكد نظريًا وتطبيقيًا على تكامل الجانبين النحوي والبلاغي في النظم القرآني.

من ذلك: قوله: "وجملة الأمر أنّا لا نوجب «الفصاحة» للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلّقا معناها بمعنى ما يليها. فإذا قلنا في لفظة «اشتعل» من قوله تعالى: ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ [مريم: ٤]، أنّها في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك «الفصاحة» لها وحدها، ولكن موصولا بها «الرأس» معرّفا بالألف واللام، ومقرونا إليهما «الشيب» منكّرا منصوبا ... " [2].

ومن التطبيقات المتعلقة بدرس النعت ما ورد في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ [النساء: ١] ، حيث جاء نعت لفظ (نفس) بـــ (واحدة)، ولا شك أن لهذا النعت دلالةً، وقد ذكر أهل اللغة والمفسرون في ذلك وجوهًا؛ منها:

(١) يراجع: نظرية اللغة في النقد العربي، أ.د عبد الحكيم راضي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، الأولى، ٢٠٠٣م) (ص: ٨٥).
(٢) دلائل الإعجاز (ص: ٢٥٧).

– الأول: أن النعت بـــ (واحدة) أدق في الدلالة على كون أصل الخليقة نفسًا واحدة؛ بخلاف ما لو قيل – في غير القرآن الكريم –: خلقكم من نفس ثم جعل منها زوجها؛ فإنه قد يحتمل نفسين [١].

– الثاني: أن النعت بـــ(واحدة) أبلغ في التنبيه على قدرة الصانع – جل وعلا –، وما يتعلق بذلك من الامتثال لأمره ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ ؛ حيث أمرنا أولًا بالتقوى، وذكر عقبيه أنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، وهذا مشعر بأن الأول معلل بالثاني؛ وذلك أن قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾مشتمل على قيدين: الأول: التخليق، والثاني: كيفية ذلك التخليق، ولكل واحد من القيدين أثره في وجوب التقوى.

– الثالث: أن النعت بـــ (واحدة) أبلغ في تحصيل زيادة شفقة الخلق بعضهم على البعض، وهذا مناسب لما ذكر عقيبه من الأمر بالإحسان إلى اليتامى والنساء والضعفاء [٢].

وهكذا يتضح أن للأساليب وطرق التعبير اللغوية ومن بينها النعت أثرًا في فكرة النظم من جهة المعاني والمباني والسبك وكافة الجوانب المتعلقة بها.

---

(١) يراجع: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ٢٠٠٨ م) (٣٣٣/٢).

(٢) يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ) (٣/٢)؛ ومفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثالثة،١٤٢٠هـ) (٤٧٦/٩، ٤٧٧).

المبحث الثاني

النعت بين اللغة والتفسير

يقع النعت بالمبهم ضمن مسائل النعت، وتندرج تحتها وترتبط بها من جهة الأحكام والمعاني؛ لذا كان من الضروري الوقوف على أهم معالم (النعت) المرتبطة بالمسألة في منظوري اللغة والتفسير؛ ليكون ذلك بمثابة أساس لما يتبعه من الدلالات التفسيرية والأسرار البيانية، وهذا ما يحاول المطلبان الآتيان تلخيصه.

المطلب الأول: النعت في الدرس اللغوي:

للنعت في اللغة جانبان: نحوي، وبلاغي، وكلاهما ضروري لإدراك معالم الرؤية اللغوية للأسلوب بصورة متكاملة.

ولا يتصور أيضًا أن يكون التناول اللغوي للنعت بمعزل عن الإضافات التفسيرية؛ لذا تتخلله المعالجات التفسيرية ذات الصلة؛ حرصًا على التكامل مع الإيجاز والاختصار وعدم التكرار.

- أولًا: النعت في الدرس النحوي:

لأسلوب النعت في الدرس النحوي معالم؛ يمكن تلخيصها وفق النقاط الآتية:

العامل في النعت:

اختلف النحاة حول العامل في النعت على أقوال؛ أهمها:

- الأول: أن العامل في النعت هو نفسه العامل في المنعوت؛ لأنها هي هو في المعنى؛ ولذلك جاز أن يحذف الموصوف ويولى العامل الصفة، فتقول: مررت بالظريف، ولا تكرر العامل معها؛ فلا تقول مررت بزيد بالظريف.

- الثاني: أن العامل في النعت معنوي؛ وهو كونه تابعًا للمنعوت إما في الحقيقة والمعنى أو في الإعراب [1].

(١) يراجع: نتائج الفكر في النحو (ص: ١٨٠)؛ واللباب في علل البناء والإعراب (١/ ٤٠٦).

- أقسام النعت:

ينقسم النعت باعتبار تكميل متبوعه أو سببي المتبوع إلى:

- حقيقي: وهو ما يدل على معنى في نفس منعوته الأصلي، أو فيما هو بمنزلته وحكمه المعنوي؛ نحو قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾ [النبإ ١-٢].

- سببي: وهو الذي يدل على معنى في شيء بعده، له صلة وارتباط بالمنعوت؛ نحو: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَانُهَا ﴾ [فاطر: ٢٧].

والأصل في النعت الحقيقي أن يوافق منعوته في: الإعراب، والتعريف والتنكير، والإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث؛ كـــ"جاءتني امرأة كريمة، ورجلان كريمان، ورجال كرام"، ويوافق السببي منعوته في: الإعراب، والتعريف والتنكير؛ كـــ"مررت برجلٍ قائمةٍ أمهُ"، وبامرأةٍ قائمٍ أبوها" (١).

ضوابط مهمة في النعت:

من خلال كلام النحاة يمكن استنباط عدد من الضوابط المتعلقة بالنعت بصورة عامة؛ وملخصها كالآتي:

- الأصل في النعت أن يكون مشتقًا، ويشمل ذلك ما كان "مأخوذًا من فعل، أو راجعًا إلى معنى الفعل، وذلك كاسم الفاعل، نحو: "ضارب" و"آكل"، و"شارب"، و"مكرم" و"محسن"، وكاسم المفعول، نحو: "مضروب"، و"مأكول"، و"مشروب"، و"مكرم"، و"محسن إليه"، أو صفة مشبهة باسم الفاعل، نحو: "حسن"، و"شديد"،

(١) يراجع: شرح المقدمة المحسبة (٢/ ٤١٥)؛ وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد جمال عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، د.ت) (٢٧٣/٣، ٢٧٤).

و"بطل"، و"أبيض"، و"أسود"؛ وذلك ليدل باشتقاقه على الحال التي اشتق منها مما لا يوجد في مشاركه في الاسم؛ فيتميز بذلك" [١].

– يفيد كون النعت اسمًا مأخوذاً عن الفعل معنى الدوام واللزوم؛ وبذلك تكون دلالة النعت على اللزوم أقوى من دلالة الفعل.

ويظهر الفرق بين استعمال كل منهما في نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء: ٢٩] ؛حيث جاء التعبير بالاسم (مغلولةً) دون الفعل (تغل)؛ لكون النعت ألزم، وفي المقابل جاء التعبير بالفعل في قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١] ؛ لأن آدم عليه السلام وإن كان عصى في شيء، إلا أنه لم يكن شأنه العصيان فيسمى به [٢].

– بناءً على اختلاف النحاة في اشتراط كون النعت مشتقًا، يكون الوصف بغير المشتقات على نية التأويل بالمشتق [٣].

– بناءً على ما سبق يكون النعت بالمبهمات جائزًا عند نحاة البصرة؛ على اعتبار أنها تؤول بمشتق وتؤدي ما يؤديه النعت بالمشتقات من المعاني، ويشمل ذلك: أسماء الإشارة غير المكانية (واستثنيت لكونها مختصة بالظرفية دون النعت)؛ مثل: "هذا" وفروعه، ويكون معناها: الحاضر، و(ما) الإبهامية، نحو "أكرم رجلا ما"؛ أي: رجلًا مطلقا غير مقيد بصفة ما [٤].

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٢٣٤)، ويراجع: شرح تسهيل الفوائد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بابن مالك (القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى،١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) (٣/٣١٣، ٣١٤).

(٢) يراجع: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م) (ص: ٢١٠، ٢١١).

(٣) يراجع: الكافية في علم النحو (ص: ٢٩)؛ وشرح تسهيل الفوائد (٣/٣١٢-٣١٤)؛ وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٢/٣٢٠).

(٤) يراجع: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (القاهرة: مكتبة الخانجي، الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) (٤/١٩١٨)؛ وشرح التصريح على

– تقع أسماء الإشارة نعتًا لكل من: العلم الخاص؛ نحو: مرت بزيدٍ هذا، والمضاف إلى المعرفة؛ نحو: مررت بصاحبك هذا، وتقع (ما) الإبهامية نعتًا للنكرة؛ نحو: أكرم رجلًا ما [١].

وفي استعمال اسم الإشارة في الوصف إيماء إلى شيء حاضر بجارحة، أو ما يقوم مقامها؛ فالتعريف بها أبلغ من غيرها؛ لأنها تجمع بين معرفة القلب ومعرفة العين [٢].

– الأصل في النعت أن يكون أنقص تعريفًا من المنعوت، وينطبق هذا الضابط على النعت بالمبهمات؛ من جهة أن المبهم في الأصل ليس موضوعًا لشيء بعينه؛ فاسم الإشارة (مثلًا) لا يختص بشيء دون غيره؛ بدلالة ما فيه من الحاجة إلى التمييز بين الأشياء حتى يُعرف المشار إليه بعينه؛ فكان بذلك أنقص تعريفًا من منعوته [٣].

وبناءً على هذا الضابط ترجح كون (ذلك) غير نعت في قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦] ؛ بناءً على ما تقرر عند النحاة من كون

التوضيح، الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهري (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م) (١١٣/٢)؛ والنحو الوافي ٤٥٨/٠٣، ٤٥٩)؛ وجامع الدروس العربية (٢٢٣/٣).

(١) يراجع: الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه (القاهرة: مكتبة الخانجي، الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) (٦/٢، ٧)؛ وعلل النحو (ص: ٣٨١، ٣٨٢)؛ والأصول في النحو (٣٢/٢)؛ وجامع الدروس العربية (٢٢٣/٣).

(٢) يراجع: شرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٣٥٢).

(٣) يراجع: علل النحو (ص: ٣٨١، ٣٨٢)، وقد خالف في ذلك جمع من النحاة فذهبوا إلى أن أسماء الإشارة أعرف المعارف؛ بناءً على كونها تتعرف بشيئين: بالعين، والقلب، وكون غيرها تتعرف بالقلب لا غير. يراجع: المرتجل في شرح الجمل (ص: ٣٠٤)؛ وشرح المفصل لابن يعيش (٣٥٠/٣).

الأسماء المبهمة أعرفَ مما فيه الألف واللام وما أضيف إلى ما فيه الألف واللام، وسبيل النعت أن يكون مساويًا للمنعوت أو أقل منه تعريفًا؛ وبالتالي لا يصح إعراب (ذلك) نعتًا [١].

– لا تنعت النكرة بمعرفة؛ لأن وظيفة النعت تكميل المنعوت؛ إذ لو كان المنعوت نكرة والنعت معرفة؛ لأدى إلى تعيّن المنعوت، وبالتالي زوال تنكيره المقصود به الإبهام والشيوع.

– لا تنعت المعرفة بنكرة، دفعًا لتوهم طرآن التنكير عليها، ويستثنى من ذلك حالة كون التعريف بلام الجنس؛ فيجوز نعتها بالنكرة المخصوصة؛ لقرب مسافته من التنكير[٢].

– الأصل في نعت المعارف أن يكون أعم من الموصوف أو مساويًا له؛ نحو: مررتُ بزيدٍ الطويلِ، وأما في النكرات فلا يمتنع النعت بالأخص؛ نحو: "رجلٌ فصيحٌ"، و"غلامٌ يافعٌ [٣].

– ثانيًا: درس النعت في علم المعاني:

أضاف البلاغيون لدرس النعت في علم المعاني إضافات في عدد من الجوانب؛ تتميز بالاهتمام –بصورة أكبر– بجانب المعنى والدلالة، وأحاول تلخيصها في النقاط الآتية:

---

(١) يراجع: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ هـ) (٥/ ٣١).

(٢) يراجع: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) (ص: ٣٥١).

(٣) يراجع: الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط.ت) (٣٣/٢)؛ وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (القاهرة: دار الفكر العربي، الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م) (٩٥٠/٢).

أغراض النعت:

للنعت غرضان رئيسان؛ هما:

- التبيين (التوضيح)؛ وذلك بإزالة الاشتراك العارض، وغالبًا ما يكون في نعت المعارف؛ نحو: قوله تعالى: ﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [الرعد: ١٢].

- التخصيص، ويغلب في نعت النكرات، ومعناه تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات؛ وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ ﴾ [النساء: ٩٢].

وقد يتجاوز النعت غرضيه الأساسيين إلى أغراض أخرى؛ منها:

- التوكيد: وذلك إذا كان مدلول الصفة مفهومًا من لفظ الموصوف؛ نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ ﴾[الحاقة: ١٣].

- الثناء والمدح: وذلك إذا كان الموصوف معلومًا عند المخاطب لا يحتاج إلى توضيح؛ نحو: قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾[الفاتحة : ٢].

- الذم والتحقير: وذلك إذا كان الموصوف معلومًا عند المخاطب لا تقصد تمييزه عن شخص آخر؛ نحو: قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ ﴾ [التكوير: ٢٥].

- الترحم: نحو: اللهم أنا عبدك المسكين.

- التعميم: نحو: إن الله يحْشر النَّاس الْأَوَّلين والآخرين.

- التفصيل: نحو: مَرَرْت برجلَيْن عَرَبِيّ وعجمي.

- الإبهام: نحو: تصدق بصدقة قليلة أو كثيرة [1].

(١) يراجع: شرح المقدمة المحسبة (٤١٣/٢، ٤١٤)؛ والمقدمة الجزولية (ص: ٥٦)؛ وشرح المفصل لابن يعيش (٢٣٣/٢، ٢٣٤)؛ وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٣١٧/٢)؛ وشرح التصريح على التوضيح (١٠٩/٢)؛ وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد

– تعيين المنعوت للجنسية؛ نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨].؛ فالمراد بكل من الدابة والطائر جنسهما، ونفي توهم إرادة الإفراد؛ بدلالة الوصف اللازم للجنس (في الأرض) و(يطير بجناحيه)، ومما يحقق إرادة الجنس من الوصف جمع لفظ (أمم) [١]، ويمكن رد هذا الغرض إلى (التعميم) الذي ذكره النحاة.

– زيادة البيان؛ نحو قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، ويمكن رد هذا الغرض إلى (التبيين) الذي ذكره النحاة.

بقي أخيرًا الإشارةُ إلى اتفاق النحاة والبلاغيين وغيرهم [٢] في أغلب أغراض النعت؛ لذا آثرت عدم التفصيل؛ خشية التكرار.

أهمية النعت في أداء المعنى:

أشرت فيما مضى أن التراكيب النحوية في الغالب تتكون من أركان أساسية؛ هي طرفا الإسناد، والمكملات. ويعتبر النعت من قسم المكملات؛ وهذا ما قد يثير تساؤلًا حول إمكانية الاستغناء عنه أو جواز حذفه.

والحقيقة: أنه ليس معنى كون اللفظ من قبيل المكملات أنه يجوز الاستغناء عنه من حيث المعنى، كما أن هذا لا يعني جواز حذف تلك المكملات بإطلاق؛

الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ط.ت) (١٤٥/٣)؛ والنحو العربي أحكام ومعان (٢٥٨/٢-٢٦٠).

(١) يراجع: مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) (ص: ١٩٠)؛ والبرهان في علوم القرآن أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٩١هـ) (٢/ ٤٢٥).

(٢) يراجع: الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (بيروت: دار الجيل، الثالثة، د.ت) (٣٩/٢-٤٢)؛ والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، عصام الدين إبراهيم بن محمد الحنفي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت) (٣٣٥/١-٣٤٠)؛ وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.ت) (٥٨٤/١-٥٩٤).

فإن تلك المكملات قد يتوقف عليها معنى الكلام؛ وبالتالي لا يجوز حذفها إلا بالقرائن، وإنما غاية ما يعنيه كون اللفظ من المكملات: أنه يمكن أحياناً أن يتألف الكلام بدونه، وأنه ليس من أركان الإسناد الأساسية [١].

والواقع يشهد أن المكمّل في بعض الأحوال لا يمكن حذفه أو الاستغناء عنه؛ وذلك إذا كانت بالمخاطب حاجةٌ إلى معرفة أمور زائدة على أصل البناء (الإسناد)؛ فتتوقف فائدة الخبر حينئذٍ على هذا الزائد؛ فلا بد من ذكره، وإلا ذهبت الفائدة، وأصبح الخبر غير مناسب لحال المخاطب أو للمقام [٢].

برهان ذلك في النعت: ما مر من أغراض له تؤكد وظيفة النعت في الكلام وموقعه من الدلالة، كما يمكن توضيح ذلك من خلال التطبيق: في نحو قوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ حيث وصفت الدابة ووصف الطائر، ولو افترضنا في غير القرآن الكريم الاقتصار على ذكر الطائر دون وصف؛ لأوهم ظاهر العطف أن المعنى: ولا طائر في الأرض؛ لأن المعطوف عليه إذا قيد بظرف أو حال؛ يقيد به المعطوف أيضًا، وذلك يوهم اختصاصه بطير الأرض الذي لا يطير بجناحيه؛ كالدجاج، والأوز والبط، ونحوها؛ فلما قال: يطير بجناحيه؛ زال هذا الوهم، وعلم أن الطائر المذكور ليس مقيدًا بما تقيدت به الدابة [٣]، بالإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه من كون هذا الوصف لتعيين المنعوت بالجنسية.

---

(١) يراجع: معاني النحو، أ.د فاضل صالح السامرائي (عمّان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) (١٤/١).

(٢) يراجع: في النحو العربي: نقد وتوجيه، أ.د. مهدي المخزومي (بيروت: دار الرائد العربي، الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) (ص: ٩٥).

(٣) يراجع: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٢٦)؛ و الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م) (٢٣٤/٣، ٢٣٥).

كما يشهد لأهمية النعت في باب المعاني الواقع اللغوي المتمثل في وجود فروق دقيقة بين النعت وغيره من التوابع؛ بناءً على ما ذكره النحاة في وجه تقسيم النعت بين التوابع (١).

هذا وقد ورد في كتب التفسير ما يؤكد أهمية النعت وتميز دوره في باب المعاني؛ من ذلك:

– قول الإمام الرازي رحمه الله: " ... النعت يقتضي المغايرة بين الموصوف والصفة" (٢).

– قول العلامة ابن عاشور رحمه الله في التفرقة بين النعت والخبر: " ... أصل النعت أن يكون وصفا ثابتًا، وأصل الخبر أن يكون وصفا حادثًا" (٣).

النعت وبلاغة الكلام:

يندرج درس النعت في علم المعاني تحت بلاغة التقييد؛ وهو: زيادة شيء على جزأي الجملة ممّا يتعلق بهما أو بأحدهما، ويكون ذلك: حيث يُراد زيادة الفائدة وتقويتها عند السامع؛ بناءً على أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد وضوحه وخصوصيته؛ فتكون فائدته أتّم وأكمل، ولو حُذف القيد لكان الكلام كذباً أو غير

(١) يتلخص وجه تقسيم النعت بين التوابع في: أن التابع إمّا أن يكون مكمّلا للأوّل، أو غير مكمّل له، فغير المكمّل: هو المعطوف بالحرف، والمكمّل إما أن يكون في تقدير جملتين؛ وهو البدل، أو في تقدير جملة واحدة، وهذا إما أن يفيد فائدة المشتقّ، فيتضمّن الضمير؛ وهو الوصف، أو لا يفيد فائدة المشتقّ، ولا يخلو: أن يكون محصور الألفاظ؛ وهو التّأكيد، أو غير محصور؛ وهو عطف البيان. يراجع: علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس، المعروف بابن الوراق (الرياض: مكتبة الرشد، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م) (ص: ٣٨٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٤/ ١٥١).

(٣) التحرير والتنوير (٢/ ٧٥).

مقصود؛ نحو: قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦]؛ حيث لو حُذف الحال (لاعبين)؛ لكان الكلام كذباً؛ بدليل المشاهدة والواقع(١).

ومثال ذلك تطبيقًا في باب النعت: قوله تعالى في شأن كفارة القتل الخطأ : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: الآية ٩٢] وقوله تعالى في شأن كفارة اليمين:﴿ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المائدة: الآية ٨٩] ؛ حيث الرقبة في الآية الأولى مقيدة بوصف الإيمان؛ مما جعل العلماء يتفقون على وجوب كونها مسلمة، كما استنبط بعضهم من هذا الوصف اقتضاء كمالها في صفات الدين (٢)، بينما الرقبة في الآية الأخرى غير مقيدة؛ لذا وقع الخلاف بين العلماء؛ حول اشتراط كونها مؤمنة؛ حملًا للمطلق على المقيد، وعدم اشتراط ذلك؛ بناءً على ظاهر الآية (٣).

يضاف إلى ما سبق أن القيد كله يعتبر من باب بلاغة الإطناب (٤)؛ بناءً على أن كل قيد يعتبر إضافة إلى تركيب الجملة، وإطالةً للكلام.

النعت ومناسبة الكلام للمقام:

عُرّفت بلاغة الكلام بأنها: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، كما عرّف علم المعاني بأنه: علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال (٥)؛ ومن مقتضيات هذه التعريفات أن يكون الكلام تامًا يحسن السكوت عليه؛ ومن

(١) يراجع: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني (٦٤/٢)؛ وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد بن إبراهيم الهاشمي (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.ت) (ص: ١٤١).

(٢) يراجع: الكشاف (٥٤٩/١)؛ وأحكام القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) (٥٩٩/١).

(٣) يراجع: المحرر الوجيز (٢٣١/٢).

(٤) هو: أداء المقصود من الكلام بأكثر من عباراته لفائدة. يراجع: الإيضاح في علوم البلاغة (١٧١/٣).

(٥) يراجع: المرجع السابق (٤١/١) و(٥٢/١).

هنا يأتي دور النعت في تحقيق معادلة مناسبة الأسلوب للمقام والحال؛ وذلك أنه في بعض الأحوال لا يتم معنى الكلام ومقصوده إلا بالنعت؛ حيث يكون النعت في تلك الأحوال متممًا لمعنى المنعوت.

يشير إلى هذه الحقيقة قول سيبويه: " .. وقد أدخلوا في قول من قال إنها نكرة؛ فقالوا: هل رأيتم شيئا يكون موصوفا لا يُسكَت عليه؟ فقيل لهم: نعم، يا أيها الرجل. الرجل وصفٌ لقوله يا أيها، ولا يجوز أن يُسكَت على يا أيها. فرُب اسم لا يحسن عليه عندهم السكوت حتى يصفوه وحتى يصير وصفُه عندهم كأنه به يتم الاسم، لأنهم إنما جاءوا بيا أيها ليصلوا إلى نداء الذي فيه الألف واللام، فلذلك جيء به. وكذلك مَن وما إنما يُذكران لحشوهما ولوصفهما، ولم يُرَد بهما خِلوَين شيء، فلزمه الوصف كما لزمه الحشو، وليس لهما بغير حشو ولا وصف معنى، فمن ثم كان الوصف والحشو واحدًا" (١).

ومن أمثلة ذلك تطبيقًا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ [الغاشية: الآية ١٢] ؛ حيث يلاحظ موقع النعت ودوره في مناسبة الأسلوب للمقام؛ من جهة أصالته في دقة التعبير عن تمام المراد.

فقد أفاد النعت (جارية) معنى التخصيص بإزالته ما يقتضي الاشتراك، وبدون هذا النعت المخصص يبقى لفظ (عين) النكرة محتملًا لمعان متعددة (٢).

هذا بالإضافة إلى ما أضافه النعت (جارية) من طاقات معنوية، وإشارات دلالية، يعبر عن بعضها الإمام البقاعي رحمه الله في تفسيره الآية بقوله: "... عظيمة الجري جداً، فهي بحيث لا تنقطع أصلاً لما لأرضها من الزكاء والكرم وما لمائها من الغزارة وطيب العنصر؛ فهو صالح لأن يعم جميع نواحيها

(١) الكتاب لسيبويه (١٠٦/٢).
(٢) يراجع: الأطول (٣٣٧/١).

أقاصيها وأدانيها، وإن عظم اتساعها وتناءت أقطارها وبقاعها، كما نراه يجري من ساق الشجرة الكبيرة جداً فيسقي جميع أغصانها وأوراقها وثمارها، ويزيد على ذلك بأن جريه من أسفل إلى فوق، يجذبه جاذب الشوق ويسوقه أي سوق يقدره الخلاق العليم، والذي قدر على هذا كما هو مشاهد لنا لا نشك فيه قادر على أن يجعل هذه العين – الصالحة للجنس ولو كانت واحدة بالشخص – عامة لجميع مرافق الجنة تجري إلى خيامها ورياضها وبساتينها ومصانعها ومجالسها ويصعدها إلى أعالي غرفها وإن علت، مقسمة بحسب المصالح، موزعة على قدر المنافع، بغاية الإحكام بما كان لداخلها من الخضوع الذي يجري منهم الدموع ويقل الهجوع ويكثر الظمأ والجوع" (١).

ويتضح أثر النعت في مناسبة الأسلوب للمقام في كل موضع من خلال افتراض الاقتصار على ذكر المنعوت دون النعت في غير القرآن الكريم من الكلام.

النعت وتماسك النص:

سبقت الإشارة إلى ما يتضمنه أسلوب النعت من خصائص وإضافات لفظية ومعنوية، وتنعكس جميعها على سياق الكلام تماسكًا ونظمًا.

فأسلوب النعت يؤدي دورًا أساسيًا في تماسك النص؛ من خلال ما يتضمنه من إتمام للمعنى، وبيان لمقصود المتكلم، بالإضافة إلى ما في الموقع المكاني للفظه من القيام بوظيفة الربط والاتصال بين أجزاء الكلام (٢).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط.ت) (١٠/٢٢).
(٢) يراجع: الكتاب لسيبويه (١٠٦/٢).

ومثال ذلك تطبيقًا في القرآن الكريم قوله تعالى في شأن قوم ثمود مع نبيهم سيدنا صالح عليه السلام [1]:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣].

حيث يلاحظ مجيء النظم بتأخير النعت (الذين كفروا)، مخالفًا بذلك نظوم السورة المشابهة؛ في نحو قوله تعالى في شأن قوم سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ، ولاشك أن في ذلك دلالات لفظية ومعنوية.

– أما اللفظية: ففي تأخير النعت (الذين كفروا) رعاية لاتصال الصفتين المعطوفتين عليه ﴿وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ، وهو أليق بتماسك النص من تقديمه [2].

– وأما المعنوية: ففي تقديم الجار والمجرور (من قومه) احتراس من احتمال أن يكون من صلة (الدنيا)؛ لأنها ههنا اسم تفضيل من الدنو وليست اسمًا، والدنو يتعدى بمن، وفيه أيضًا احتراس من اشتباه الأمر في القائلين أهم من قومه أم لا[3].

(١) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) (٢٨/١٩)، وذكر بعض المفسرين أن الآية الكريمة في شأن عاد قوم سيدنا هود عليه السلام، والراجح الأول؛ بدلالة ذكر الصيحة في آخر القصة. يراجع: مفاتيح الغيب (٢٧٥/٢٣).

(٢) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٥٢/١٨).

(٣) يراجع: مفتاح العلوم (ص: ٢٣٨)، وحاشية تحقيق كتاب الإيضاح في علوم البلاغة (١٧٠/٢).

النعت والاتساق الصوتي للكلام:

للنعت دوره في الاتساق الصوتي للسياق؛ باعتباره مكوناً من مكوناته، ويظهر هذا الاتساق الصوتي من خلال عدم وقوع تنافر بين الأصوات، ويتضح ذلك بالتطبيق، كما أن للأصوات قيمة تعبيرية؛ تظهر من اتفاق المعنى المراد مع معنى الحرف وجرسه [1].

وألفاظ النعت الواردة في البحث هي: (هذا، وهاتين، وهؤلاء، وما)؛ وهذا ملخص للمعاني العامة لحروفها على ترتيبها الألفبائي:

-الهمزة: تعبر عن ضغط دقيق وصلابة، وتناسب معاني: التمييز والتحديد، وتفيد توكيد معنى ما تصحبه من التركيب.

- التاء: تعبر عن ضغط بدقة وحدة؛ يأتي منه معنى الامتداد الضعيف ومعنى القطع، وتناسب معاني: التحديد والوضوح.

- الذال: تعبر عن نفاذِ ثخينٍ ذي رخاوة ما وغلظ، وتناسب معاني: زيادة الوضوح والظهور.

- اللام: تعبر عن تعلق أو امتداد مع استقلال أو تميز، وتناسب معاني: الوضوح والبيان والدقة.

- الميم: تعبر عن تضامٍّ أو استواءٍ ظاهريٍّ لشيء أو على شيء، وتناسب معنى العموم والشيوع.

- النون: تعبر عن امتداد لطيف في جوف أو باطن جرمٍ أو منه، وتناسب معاني: الثبات اللازم لتحقيق الوضوح.

(١) يراجع: الخصائص (٢/١٤٨-١٥٠).

– الهاء: تعبر عن فراغ أو إفراغ بقوة، وتناسب معاني: شدة وضوح التعبير وتميزه.

– الواو: تعبر عن اشتمال واحتواء؛ وتناسب معاني: الدقة.

– الياء: تعبر عن اتصال الممتد شيئًا واحدًا، وعدم تفرقه أو تسيبه، وتناسب معاني: الوضوح والبيان والدقة.

– حرف المد (الألف) يعتبر امتدادًا لمعنى الحرف السابق له، كما هو شأنه في اللفظ [1].

النعت والجانب النفسي للكلام:

لكل أسلوب ظلاله النفسية على سامعه وقارئه؛ ولعل هذا أحد أسباب تنوع الأساليب وتمايزها، وإلا لما كان هناك نوع تفاضل بين أنماط النظم وطرائقه؛ من جهة دقة أداء كل منها للمعنى المقصود به.

من هنا يمكن القول: إن لأسلوب النعت علاقةً بالجانب النفسي للكلام، وذلك من وجوه؛ أهمها:

– أن أسلوب النعت يتضمن حقيقة اللفظ الأول (المنعوت) وحالًا من أحواله؛ مما يزيد المعنى المقصود وضوحًا في نفس المتلقي، بخلاف ما لو كان الكلام خلوًا منه [2].

– أن النعت صفة لازمة للمنعوت في جميع أحواله؛ ولهذا الوضع دلالة وخصوصية في نفس المتلقي؛ تقارب ما يفيده الاسم من الثبوت، بخلاف أسلوب

(١) يراجع: المجم الاشتقاقي المؤصل (٢٦/١-٤١).
(٢) يراجع: شرح المفصل لابن يعيش (٢١٨/٢)؛ وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٢/ ٣١٦).

الحال (مثلًا)؛ فإن المقصود فيه: كون صاحب الحال على هذا الوصف حال مباشرته الفعل؛ فتكون قيدًا للفعل، وبيانًا لكيفية وقوعه [1].

– أن في النعت إضافات أخرى للمعنى؛ من خلال ما يتضمنه لفظ النعت المختار من تعريض أو إشارات، وهذا كله من شأنه أن يؤثر في نفسية المتلقي. مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ فقد أفاد الوصف (الذين أسلموا) إلى جانب المدح إظهار شرف الإسلام، والتعريض باليهود، وأنهم بُعداء عن ملة الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم، وأنهم بمعزل عنها [2].

المطلب الثاني: أسلوب النعت في الدرس التفسيري:

اهتم المفسرون والمصنفون في علوم القرآن بدراسة النعت؛ باعتباره أحد الأساليب اللغوية القرآن الكريم.

وتمتاز دراسة النعت في مصنفات التفسير وعلوم القرآن بروح تطبيقية تسري في الدرس دون انقطاع عن الأصل اللغوي؛ بل أنها تضفي على الدرس اللغوي طاقات وجوانب دلالية متنوعة.

ويمكن رصد بعض معالم هذا الدرس المتميز عند الإمام الزركشي – رحمه الله – في النوع السادس والأربعين من كتابه؛ حيث أورد فوائد تعتبر من قبيل الفرائد في درس النعت؛ من ذلك:

(١) يراجع: حاشية تحقيق الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ١٤٣).
(٢) يراجع: الكشاف (٦٣٦/١، ٦٣٧)؛ و البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٢٣)؛ والإتقان في علوم القرآن (٢٣٣/٣).

– أن المراد بالصفات التي وصف بها الباري – جل وعلا– هو التعريف وليس لمجرد الثناء كما ذكر النحاة؛ إذ لو كانت لمجرد الثناء لكان الأولى قطعها(١).

– إشارته إلى ارتباط دلالة الصفة بمكانة الموصوف: " الصفة تعظم بعظم موصوفها؛ كما وصفت الملائكة المقربون بالإيمان في قوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [غافر: ٧]؛ تنويها بقدر الإيمان، وحضًا للبشر على التحلي به ليكونوا كالمقربين في وصف الإيمان، حتى قيل أوصاف الأشراف أشرف الأوصاف" (٢).

كما يمكن الوقوف على بعض معالم التميز في هذا الدرس من خلال ما ذكره الإمام السيوطي في شأن النعت الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ ﴾ [النحل: ٥١] ؛ حيث أضاف إلى ما ذكره النحاة من كون النعت (اثنين) للتأكيد لرفع الإيهام قوله: " فإن "إلهين" للتثنية، فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهي عن الإشراك، ولإفادة أن النهي عن "إلهين" إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط، لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك، ولأن الوحدة تطلق ويراد بها النوعية؛ كقوله ﷺ: "إنما نحن وبنو المطلب شيء واحد"(٣)، وتطلق ويراد بها نفي العدة، فالتثنية باعتبارها، فلو قيل: "لا تتخذوا إلهين" فقط؛ لتوهم أنه نهي عن اتخاذ جنسين آلهة، وإن جاز أن يتخذ من نوع واحد عدد آلهة، ولهذا أكد بالوحدة قوله: ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ ﴾ [النحل: ٥١] (٤).

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٤٢٣/٢).

(٢) المرجع السابق (٤٢٤/٢).

(٣) أخرجه: الإمام البخاري في صحيحه، بلفظ: «إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ»، كتاب: المَنَاقِبِ، باب: مَنَاقِبِ قُرَيْشٍ، (ح: ٣٥٠٢).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (٢٣٤/٣). ويراجع: البرهان في علوم القرآن (٤٣٣/٢-٤٣٦).

كذلك تجلت عناية المفسرين بأسلوب النعت؛ من خلال تناول مسائله بصورة تجميع بين تأصيل القواعد وتطبيقها؛ ببيان أثرها في المعنى والدلالة والمناسبة، ومن أمثلة ذلك:

ما ذكره الإمام الزمخشري في شأن دلالة النعت بالمبهمات وفائدته في تفسيره قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ ﴾ [القصص: ٢٧]،وقوله: (هاتين) فيه دليل على أنه كانت له غيرهما" (١).

فالظاهر أن الإمام الزمخشري يرى أن في الوصف باسم الإشارة (الدال على التحديد) إشارةً إلى أن له بنات غيرهما، بينما يعترض على ذلك الإمام أبو حيان، فيقول: " وقال الزمخشري: (هاتين) فيه دليل على أنه كانت له غيرهما. انتهى. ولا دليل في ذلك؛ لأنهما كانتا هما اللتين رآهما تذودان، وجاءته إحداهما، فأشار إليهما، والإشارة إليهما لا تدل على أن له غيرهما" (٢).

والإمام أبو حيان بهذا لا يجعل النعت باسم الإشارة خلوًا من فائدة ودلالة، وإنما يعترض على الغرض من النعت، ويفهم من كلامه أن الغرض من النعت التحديد أو التوكيد.

- ما ذكره الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [التوبة: ٢٨]؛ حيث يقول: "لا شبهة في أن المراد بقوله: بعد عامهم هذا السنة التي حصل فيها النداء بالبراءة من المشركين، وهي السنة التاسعة من الهجرة" (٣).

(١) الكشاف (٣/ ٤٠٤).
(٢) البحر المحيط في التفسير(٨/ ٣٠٠).
(٣) مفاتيح الغيب (١٦/ ٢٣).

ولا يبعد أن يكون هذا الجزم من الإمام الرازي في المراد بالعام له ارتباط بدلالة النعت باسم الإشارة (هذا)؛ وهذا ما يؤكد ضرورة دراسة موقع النعت بالمبهمات من النظم القرآني.

المبحث الثالث

الدلالات التفسيرية للنعت بالمبهمات

توطئة:

المقصود بمصطلح الدلالات التفسيرية بناءً على ملخص تعريف طرفيه [1]: المعنى الذي يُدل عليه باللفظ القرآني في أصل وضعه؛ مما يتعلق بالكشف عن مراد الله تعالى من كلامه بقدر الطاقة البشرية.

ويجدر بالبحث قبل الخوض في بيان الدلالات التفسيرية للنعت بالمبهمات الإجابة على عدد من التساؤلات المفترضة، وهي:

---

(١) الدلالة - بفتح الدال وكسرها وضمها - في اللغة: مصدر الفعل دلّ، وقد تكون اسمًا بمعنى الدليل والإشارة والعلامة، وللدلالة في أصل وضعها معنيان: - الأول: إبانة الشيء بأمارة. - الثاني: الاضطراب في الشيء. والمناسب للبحث هو المعنى الأول؛ وعليه يكون معنى الدلالة: الهداية إلى الشيء هداية قوية، ويستوي في ذلك ما كان مقصودًا أو غير مقصود، والدلالة القرآنية هي: المعنى الذي يُدل عليه باللفظ القرآني في أصل وضعه. يراجع: معجم مقاييس اللغة [مادة: دل] (٢٥٩/٢، ٢٦٠)؛ ومعجم اللغة العربية المعاصرة [مادة: د ل ل] (٧٦٤/١)؛ والمعجم الاشتقاقي المؤصل [مادة: دلل - دلدل] (٦٦٩/٢، ٦٧٠)؛ الدلالات القرآنية في مفردات القرآن للراغب الأصفهاني: عرض ومناقشة، أ.د/ محمد محمد حسن جبل، (مصر: طبعة خاصة بطلاب كلية القرآن الكريم بطنطا، د.ط، ٢٠٠٦- ٢٠٠٧ م) (ص: ٩).

- والتفسير في اللغة: مصدر، مشتق من الفَسْر، تدل مادته على: بيان شيء، وإيضاحه، وكشفه حساً أو معنىً، وقد يستعمل اسمًا. ". يراجع: معجم مقاييس اللغة [مادة: ف س ر] (٥٠٤/٤)، معجم اللغة العربية المعاصرة [مادة: ف س ر] (٣/ ١٧٠٧)، المعجم الاشتقاقي المؤصل، [مادة: ف س ر] (ص: ١٦٧٣). وعُرّف في الاصطلاح بتعريفات متعددة، من أشهرها أنه: " علم يبحث فيه عن القرآن الكريم؛ من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. يراجع: مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت) (٣/٢)؛ والتفسير والمفسرون، أ.د/ محمد حسين الذهبي (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) (١٣/١)، ويراجع في التعريفات الأخرى: البحر المحيط في التفسير (١/ ٢٦)؛ والإتقان في علوم القرآن (١٩٥/٤)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١١/١).

الأول: إذا كان الغرض من النعت إزالة إبهام في المنعوت؛ فكيف يصح أن يزال الإبهام بمبهم؟

وللجواب عن ذلك يقال: إن البيان والمعرفة المستفادين من النعت لا يحصلان بالصفة وحدها، بل بمجموع الطرفين (النعت والمنعوت)؛ لأنهما كالشيء الواحد(١).

الثاني: هل يمكن الوقوف على ميزات في (المبهم) تجعل النعت به في بعض المقامات والسياقات أكثر مناسبة للنظم من غيره؟

والجواب: نعم؛ هناك ميزات في أسماء الإشارة تجعل النعت بها أكثر مناسبة للنظم من غيرها؛ وبيان ذلك من وجوه يمكن استخلاصها من كلام الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله؛ في حديثه عن سر التعبير بضمير الغائب (هو) عن الذات العلية في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣]؛ وهي:

– أن (أسماء الإشارة) في سياق النعت بها صارت تدل على معين؛ فتكون أدق في التعبير من المشتقات؛ بشرط أن توافق مقامًا وحالًا يقتضي ذلك.

– أن النعت باسم الإشارة يصح إذا حصل في عقل المخاطب صورة الشيء المشار إليه؛ ومن هنا يكون في النعت باسم الإشارة تأكيدٌ لحصول صورة المنعوت في ذهن المخاطب وإدراكه.

– أن النعت بأسماء الإشارة أكثر دقة في التعبير وإيجازًا (في حال قصد عدم الإطالة والاستغناء بالإشارة عن العبارة) من النعت بالمشتقات (غير المبهمات)؛ ذلك أن الأخير يتضمن في طياته: حصول صفة للذات الموصوفة، ثم تصور ماهيات تلك الصفة، بينما النعت بالمبهمات ليس فيه إلا حصول صفة

(١) يراجع: البرهان في علوم القرآن (٤٢٤/٢).

للذات؛ فيكون أكثر اختصارًا وأدق في الدلالة على الذات الموصوفة المقصودة بالكلام [١].

الثالث: من المحتمل أن يعرب اسم الإشارة أو (ما) الإبهامية نعتًا عند بعضهم، ويعرب بدلًا [٢] أو عطف بيان [٣] عند البعض؛ فما الموقف حينئذٍ؟ والجواب في النقاط الآتية:

– أولًا: لا بد من الانتباه إلى أن كلًا من الثلاثة يندرج تحت مفهوم الصفة بمعناه العام؛ باعتبار كونها مكملات لمتبوعها، كما أن هناك علاقةً معنوية تجمع بين الثلاثة وهي أن كلًا منها يتضمن نوع تبيين وتخصيص لمتبوعه مكملات، بيد أن البدل على تقدير جملتين، والنعت وعطف البيان على تقدير جملة واحدة، ثم يفترقان من خلال كون الاشتقاق أصلًا في الأول، والجمود أصلًا في الثاني [٤].

– ثانيًا: لن يختلف الموقف حال إعرابها بدلًا أو عطف بيان كثيرًا من جهة المعاني؛ بناءً على ما بينهما من أصول معنوية مشتركة، كما أن مشكلة الدراسة في كل الأحوال قائمة (بيان بواسطة مبهم).

---

(١) يراجع: مفاتيح الغيب (٤/ ١٥١، ١٥٢).

(٢) هو: " التابع المقصود بالحكم بلا واسطة"؛ نحو: ضربت زيدًا أخاك. يراجع: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٣/٣).

(٣) هو: "تابع غير صفة يوضح متبوعه أو يخصصه"؛ نحو: أقسم بالله أبو حفص عمر. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم الجَوجَري (المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م) (٢/ ٧٧٧).

(٤) يراجع: علل النحو (ص: ٣٨٠)؛ واللمع في العربية (ص: ٨٧)؛ وشرح المقدمة المحسبة (٤٢١/٢)؛ و شرح ملحة الإعراب، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (دمشق-بيروت: دار الكلم الطيب، الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) (ص:٢٩٥)؛ والبديع في علم العربية (٣٠٨/١، ٣٥٣)؛ وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٣٥٦/٢، ٣٥٧).

وهكذا يلوح من خلال ما سبق أن للنعت بالمبهمات دورًا في النظم ومعاني القرآن الكريم، وفي السطور الآتية استبيان لأهم معالم هذا الدور، ومحاولة لكشف بعض أسراره؛ وَفق المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: الدلالات التفسيرية للنعت باسم الإشارة:

جاء النعت باسم الإشارة في النظم القرآني في ثلاثة عشر موضعًا في سور متعددة، وأتناولها بالدرس حسب ترتيب المصحف؛ من خلال المسائل الآتية:

– **المسألة الأولى: قوله تعالى:** ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٥] .

وردت الآية ضمن سياق يتناول مقدمات معركة أحد؛ حين وقع التذكير بنصر الله تعالى لعباده المؤمنين يوم بدر؛ رغم قلتهم عددًا وعدةً، في مقابل تفوق عدوهم في الأمرين، حين جاءهم الوعد الصادق والبشرى من رسول الله ﷺ أن يمدهم الله تبارك وتعالى ويعينهم بمدد من الملائكة [(١)].

وقد ذكر المفسرون أن علة ذلك التذكير هو التحريض على الجد والتوكل على الله يوم أحد؛ وذلك "أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلا، فلما بلغوا الشوط اتخذ عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاث مائة، وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي، فقال: أنشدكم الله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبد الله بن أبي: لو نعلم قتالا

(١) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن (١٧٣/٧-١٨٤)؛ وتأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) (٤٦٨/٢-٤٧١)؛ ولطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت) (٢٧٤/١، ٢٧٥)؛ والكشاف (٤١٠/١- ٤١٢).

لاتبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله فلم ينصرفوا؛ فذكرهم الله عظيم نعمته" (١).

والذي يشهد له ظاهر نظم الآية أن الخبر المحكي في الآية (إذ تقول للمؤمنين...) وقع يوم بدر؛ ويؤيده ما روي عن الشعبي أن المسلمين بلغهم أن كرز بن جابر المحاربي (وهو أحد المحاربين المعروفين)، قد جاء في مدد للمشركين؛ فغمّ ذلك المؤمنين؛ فبشرهم النبي ﷺ بأمر الله تعالى؛ فصبروا واتقوا، وهزم المشركون، وبلغت الهزيمة كرزا ومن معه؛ فانصرفوا ولم يأتوا من فورهم، ولم يُمد المؤمنون بخمسة آلاف من الملائكة. وقد ذكر بعض المفسرين أن الخطاب كان يوم أحد؛ وعليه يكون قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] اعتراضًا بين الخطاب، ويكون معنى الآية: إن تصبروا مع نبيكم وتتقوا معصيته بالهزيمة، ويأتكم العدو من وجوهكم يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين، ولكنهم لم يفعلوا، ولو فعلوا لنزلت الملائكة يوم أحد، ويتفرع على هذين القولين تحديد العامل في (إذ تقول)؛ فعلى الأول يكون العامل: نصركم، وعلى الثاني: تكون جملة (إذ تقول) بدلًا من جملة (وإذ غدوت) (٢).

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ، ١٤٢٠هـ) (١/ ٥٠٠).

(٢) يراجع: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م) (٢٩٦/١)؛ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (الشارقة: جامعة الشارقة، الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) (٢/ ١١١٩)؛ ومعالم التنزيل (٥٠٠/١)؛ والمحرر الوجيز (٥٠٢/١).

وعلى كلٍ فقد جاء تعبير النعت [1]﴿ مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا ﴾ [آل عمران: ١٢٥][2] ضمن جملة مستأنفة على نمط الشرط والجزاء؛ لتعيين شروط الإمداد (الصبر،

(١) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) (٤٦٧/١)؛ وإعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنَّحَّاس (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢١ هـ) (١٧٩/١)؛ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني (المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) (١٢٤/٢)؛ والجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود عبد الرحيم صافي (دمشق-بيروت: دار الرشيد - مؤسسة الإيمان، الرابعة، ١٤١٨ هـ) (٣٠٢/٤)؛ وإعراب القرآن وبيانه، محيي الدين أحمد مصطفى درويش (حمص-دمشق-بيروت: دار الإرشاد للشئون الجامعية - دار اليمامة - دار ابن كثير، الرابعة ، ١٤١٥ هـ) (٤٨/٢)؛ والمجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأولى، ١٤٢٦ هـ) (١٤٠/١)، وزاد بعضهم إعرابه: عطف بيان، أو بدلًا.

(٢) اختلف في المراد بالفور المذكور في الآية على أقوال؛ فقيل: من فورهم؛ أي: من وجههم (بمعنى الجهة والقصد)، وقيل: من غضبهم (أي نتيجة غضبهم من هزيمتهم يوم بدر)، وقيل: من سفرهم (بناءً على أن الكفار في غزوة أحد ندموا بعد انصرافهم حيث لم يغيروا على المدينة، وهموا بالرجوع؛ فوعد الله المسلمين بما وعد حال عودة المشركين مغيرين)، والأظهر: أنه تعبير عن السرعة مستعار من: فارت القدر، إذا غلت، ثم أطلق على الحالة التي لا ريث فيها، ولا تعريج على شيء من صاحبها؛ فقيل: خرج من فوره، كما تقول: خرج من ساعته؛ أي: لم يلبث. يراجع: التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي = ابن أحمد الواحدي (الرياض: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى، ١٤٣٠ هـ) (٥٧٣/٥، ٥٧٤)؛ والكشاف (٤١١/١)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت) (٢/ ٨٠)؛ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥ هـ) (٢٦١/٢).

والتقوى، ومجيء المشركين من فورهم) [١]، ومقصود ذلك: الحث على الصبر والتقوى، وتقوية قلوب المؤمنين [٢].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

-الأولى: زيادة تبيين الفور (المنعوت) وتوضيحه وتعيين المراد به بالنسبة للحاضرين وقت الخطاب؛ وهذا مستفاد من دلالة اسم الإشارة (هذا) على القرب والحضور، وهذا هو الغرض الرئيس في النعت.

- الثانية: تأكيد مفهوم السرعة المحوري في الآية؛ من خلال زيادة تعيين الفور (المنعوت) وتقريبه؛ وبهذا يتسق تعبير النعت مع غرض الآية ككل؛ وهو تحقق سرعة الإمداد، أو تحقق الإمداد الكامل على أي حال؛ بدلالة نظم (إتيان المشركين بسرعة) في سلك شرطي الإمداد (الصبر والتقوى) المستتبعين له وجودًا وعدمًا، رغم ضمان تحقق الإمداد لا محالة؛ سواءٌ أسرع المشركون أو أبطأوا؛ وذلك أن هجوم الأعداء وإتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادةً؛ فعلق به تحقق الإمداد إيذانًا بأنه حيث تحقق مع ما ينافيه عادةً؛ فلأن يتحقق بدونه أولى وأحرى. وقد يفهم من نظم (إتيان المشركين بسرعة) في سلك شرطي الإمداد (الصبر والتقوى) أن الإمداد المشروط وقع لهم، وفي ذلك ترديد وتردد؛ لأن الخطاب إن كان في غزوة أحد؛ فلا شبهة في عدم وقوع ذلك، وإن كان في غزوة بدر (وهو المعتمد) فقد وقع الخلاف في إمدادهم بالخمسة الآلاف من الملائكة أو عدمه؛ على قولين، والظاهر عدم الإمداد؛ لعدم تحقق الشرط [٣].

---

(١) يراجع: مفاتيح الغيب (٣٥٣/٨)؛ و فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م) (٢٥٢/٤).

(٢) يراجع: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى - ١٤١٨ هـ) (٣٧/٢).

(٣) يراجع: إرشاد العقل السليم (٨٠/٢)؛ وروح المعاني (٢٦٠/٢).

وهذا التخريج السابق لدلالة النعت مبني على تأويل الفور بمعنى مبادرة المشركين السريعة إلى إتيان المسلمين قاصدين قتالهم؛ فيكون من باب الكناية أو الاستعارة؛ لكونه عاجلًا، ويناسب ذلك يوم بدر [١].

وأما على تأويل الفور بالغضب – كما هو رأي بعض المفسرين، وهو مبني على أصل الفور أيضًا–؛ تكون (من) للسببية؛ أي: يأتوكم بسبب غضبهم عليكم، ويكون النعت باسم الإشارة (هذا) محتملًا وجهين:

– الأول: الإشارة إلى عظم ذلك الغضب (الفور)؛ من جهة شدته، وتمكنه في القلوب.

– الثاني: الإشارة إلى حقارة ذلك الغضب؛ من جهة كونه على وجه غير لائق وطريق غير محمود؛ حيث بني (فقط) على مخالفة المسلمين لهم في الدين، واعتقادهم تسفيههم آراءهم، وذم آلهتهم، أو بسبب هزيمتهم يوم بدر؛ وبهذا يناسب كون الخطاب يوم أحد [٢].

يضاف إلى ما سبق تضافر أسلوب النعت مع أنماط نظم الآية (بلى – الشرط والجزاء) في تحقيق معاني التحريض على الجد والتوكل على الله [٣].

وللنعت دور في تماسك النص؛ بما يؤديه من معاني التحديد والتوضيح، ودلالته على الحضور والقرب المتسق مع معنى السرعة المقصود في الآية؛ بما يسهم في دقة تصور هذا الفور لدى كل من يصلح له الخطاب؛ على جهتي

(١) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٧٤/٤، ٧٥).
(٢) يراجع: روح المعاني (٢٦٠/٢، ٢٦١).
(٣) يراجع: نظم الدرر (٥٧/٥)؛ وزهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.ت) (١٣٩٦/٣، ١٣٩٧).

الامتنان (على التخريج الأول) أو الاعتبار(على التخريج الثاني)؛ ومن ثم إتمامه المعنى المراد من الكلام، ووضوح المقصود بالكلام.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هذا) مع السياق الصوتي للآية عمومًا، وتتفق معاني حروفه (هـ– ذ– ا) مع معاني (التبيين – التأكيد – الشدة) [1]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام؛ يظهر أثرها بافتراض عدم وجود لفظ النعت في غير القرآن الكريم.

– **المسألة الثانية: قوله تعالى:** ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وردت الآية ضمن سياق بيان عاقبة طريقي الهداية والضلال؛ حيث صورت موقفًا من مواقف حشر العادلين بالله الأوثان والأصنام من مشركي الإنس وأوليائهم من الجن؛ وهو موقف يتضمن: توبيخًا وتقريعًا من الله تعالى في صورة استفهام تقريري عن إتيان الرسل إياهم [2] بالآيات والنذر، تبعه إقرارٌ منهم

---

(١) حيث تناسب الهمزة معنى التبيين والتوضيح، وتناسب الذال التأكيد والشدة. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

(٢) اختلف في إرسال الرسل إلى الجن على أقوال؛ ملخصها: - أنه لم يكن من الجن رسل، وإنما كان الرسل من الإنس، وأضافه إلى الفريقين تجوزًا أو تغليبًا، أو على حذف مضاف؛ كقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢]؛ أي: من أحدهما. - أنه كان من الفريقين جميعًا رسل؛ لأن الجن يسترون من الإنس، فإنما يرسِل إلى الإنس رسلا يظهرون لهم؛ فبعث إلى كل فريق الرسول من جوهرهم. - أن الرسل من الإنس كانت إلى الفريقين جميعًا، وكان من الجن منذرين؛ أي رسل للإنس؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] يراجع: تأويلات أهل السنة (٢٥٩/٤، ٢٦٠)؛ والمحرر الوجيز (٣٤٦/٣٤٧/٢)؛ والبحر المحيط في التفسير (٦٤٧/٤، ٦٤٨).

بمجيء الرسل، وخبرٌ من الله تعالى بعلة وقوعهم في الكفر؛ وهو أن هؤلاء قد غرتهم زينة الحياة الدنيا، وشهادةٌ منهم على أنفسهم باستحباب الكفر على الإيمان في الدنيا؛ لتتم بذلك حجَّة الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليمَ عذابه [١].

وقد جاء التعبير بأسلوب النعت [٢]﴿ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾ ضمن استفهام تقريري على جهة التوبيخ والتقريع، والمقصود من مضمون الاستفهام كله: توبيخ الكفار يوم القيامة وذمهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم باغترارهم بالحياة الدنيوية وإعراضهم عن الآخرة، وبيان أنه لا يكون لهم إلى جحود الكفر سبيل، وإقرارهم بأن حجة الله لازمة لهم، وإنهم لم يعذبوا إلا بالحجة، إضافةً إلى تحذير غيرهم من تلك العاقبة [٣].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: زيادة تبيين اليوم (المنعوت) وتحديده وتعيين المراد به بالنسبة للمخاطبين المحكي أمرهم، وهذا هو الغرض الرئيس في النعت؛ حيث يؤكد النعت باسم الإشارة (هذا) كون الخطاب الوارد في الآية يومَ القيامة [٤].

---

(١) يراجع: جامع البيان (١٢/١٢٢،١٢٣)؛ ومفاتيح الغيب (١٣/١٥١).

(٢) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: الجدول في إعراب القرآن الكريم (٨/٢٨٦)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٣/٢٢٦)؛ والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (١/٢٩٥)، وزاد بعضهم إعرابه: عطف بيان، أو بدلًا.

(٣) يراجع: مفاتيح الغيب (١٣/١٥٠)؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١٨٣)؛ وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (٦/ ٢٤٩)؛ والبحر المحيط في التفسير (٤/٦٤٧، ٦٤٨).

(٤) يراجع: تأويلات أهل السنة (٤/ ٢٦٠)؛ ومعالم التنزيل (٢/١٦٠)؛ ومفاتيح الغيب (١٣/١٥١)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (بيروت: دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) (١/ ٥٣٨)؛ والبحر المحيط في التفسير (٤/٦٤٨).

-الثانية: يتضمن النعت باسم الإشارة (هذا) أنهم قد عاينوا ما أعد لهم من أفانين العقوبات الهائلة في ذلك اليوم (المنعوت)؛ وهو أبلغ في تهويل أمر ذلك اليوم بما يشاهد فيه؛ حيث لم تحط العبارة بوصفه، فعُدل عنها إلى الإشارة؛ كقوله تعالى: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الطور: ١٤]، ويؤيد هذه الدلالة صيغة الإقرار المؤكد في قوله تعالى: ﴿ شَهِدْنَا ﴾ ؛ فهو إقرار معاينة ومشاهدة، وليس مجرد إخبار عن أمر مغيب، كما يفيد ذلك أيضًا تقرير المبدأ القرآني في نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩][1].

- الثالثة: يتسق أسلوب النعت مع أغراض الآية وجملة الاستفهام (التوبيخ والتقرير والتحذير)؛ من خلال إفادته تعيين ذلك اليوم وتحديده؛ ليناسب بذلك ما سبقه من نمط السؤال (ألم يأتكم؟) (2)، كما يناسب ما لحقه من إقرارهم على أنفسهم بالكفر؛ فالأليق بالسباق واللحاق أن يكون الشيء المنكر معيناً ومحددًا؛ كما يوحي بذلك تعبير العلامة أبي السعود في تفسيره قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠]؛ حيث يقول: ﴿ قَالُواْ ﴾ ".. استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا: ﴿ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ ؛ أي بإتيان الرسل وإنذارهم، وبمقابلتهم إياهم بالكفر والتكذيب، وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد؛ حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا: ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾ [الملك: ٩]، وقد أجمل ههنا في الحكاية؛ كما أجمل في حكاية

١ - يراجع: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ١٨٦)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٧٨/٨)؛ وزهرة التفاسير (٢٦٧٤/٥).

٢ - يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٧٥/٨).

جوابهم حيث قالوا: ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزمر: ٧١]"(١).

يضاف إلى ما سبق ما هو ظاهر من تضافر أنماط نظم الآية على تأكيد محورها الرئيس: (زيادة إقامة الحجة) (٢).

وللنعت دور في تماسك النص؛ بما يؤديه من زيادة تبيين للمنعوت وبيان قربه وحضوره؛ وبالتالي وضوحه لدى المخاطب؛ وهو ما يناسب مقام الحساب؛ بما يتضمن من معاني الدقة والعدل.

وللنعت أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هذا) مع السياق الصوتي للآية، كما تتفق معاني حروفه مع معاني (التبيين – الحضور والمشاهدة) (٣)، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– **المسألة الثالثة: قوله تعالى:** ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥١].

وردت الآية ضمن سياق آيات تعرض مشهدًا من مشاهد يوم القيامة؛ وذلك بعد انصراف كل فريقٍ إلى مستقره، حيث ينادي أهلُ النار أهلَ الجنة على جهة الاستغاثة بطلب شيء من الماء أو من رزق الله لهم، ويكون جواب أهل الجنة أن الله ﷻ قضى بمنعهما عن الكافرين؛ بسبب اتخاذهم ما أمرهم الله به من الدين

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ١٨٦).
(٢) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٧٧/٨، ٧٨)؛ وزهرة التفاسير (٢٦٧٢/٥-٢٦٧٥).
(٣) حيث يناسب معنى الهاء زيادة التبيين، ويناسب معنى الذال الحضور وحصول المشاهدة، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

سخريةً ولعبًا، وانخداعهم بمتاع الدنيا، وتركهم الإيمان بيوم القيامة؛ فكان جزاؤهم الترك في العذاب عطاشًا جياعًا [1].

وقد جاء التعبير بأسلوب النعت [2]﴿ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا ﴾ ضمن جملة مسببة عن أعمال أولئك الكافرين، والظاهر أن قوله: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ من كلام الله تعالى، وقد عطف بالفاء تفريعًا على كلام أهل الجنة؛ كما هو ظاهر النظم [3].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: أفاد النعت باسم الإشارة (هذا) زيادة تبيين اليوم المذكور في قوله تعالى: سمحفَٱلۡيَوۡمَسجى، وتعيينه بأنه يوم القيامة [4].

(١) يراجع: جامع البيان (٤٤٩/١٢-٤٧٦)؛ وتأويلات أهل السنة (٤٣٥/٤، ٤٣٦)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية (٢٣٩١/٤)؛ ومفاتيح الغيب (٢٤٨/١٤، ٢٥٣)؛ والتفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من الباحثين بإشراف أ.د مصطفى مسلم (الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م) (٣١/٤).

(٢) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: الجدول في إعراب القرآن الكريم (٤٢٦/٨)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٣٦٣/٣)، وزاد بعضهم إعرابه: بدلًا.

(٣) يراجع: جامع البيان (١٢/ ٤٧٥)؛ المحرر الوجيز (٤٠٧/٢)؛ والبحر المحيط في التفسير (٦٢/٥)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٤٩/٨، ١٥٠). والنسيان الوارد في الآية إما أن يكون استعارةً أو مجازًا مرسلًا بمعنى (الترك)؛ فيكون المعنى: نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، وإما أن يكون من باب التمثيل؛ فيكون المراد من هذا النسيان: أنه لا يجيب دعاءهم ولا يرحمهم. يراجع: التفسير البسيط (٩/ ١٦١)؛ ومفاتيح الغيب (٢٥١/١٤)؛ وعناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (بيروت: دار صادر، د.ط.ت) (١٧٢/٤).

(٤) يراجع: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، ١٣٨١هـ) (١/ ٢١٥)؛ وجامع البيان (١٢/ ٤٧٥).

-الثانية: يتضمن النعت باسم الإشارة (هذا) معاينة هؤلاء الكافرين لأهوال يوم القيامة وحقائقه، وهو أبلغ في خطاب المنكر والجاحد من أمثالهم؛ على غرار ما تقدم في الآية السابقة.

- الثالثة: يتسق أسلوب النعت مع مقصود الآية والسياق؛ حيث كلاهما في مقامات: التوبيخ والتبكيت وبيان جزاء أهل النار(١)؛ وهي مقامات يناسبها نمط التحديد والتعيين والوضوح المستفادة من دلالة اسم الإشارة (هذا) على القرب؛ بالإضافة إلى ما في دلالته على المعاينة والمشاهدة من مزيد توكيد وتقرير وتحقيق لتلك الأغراض.

وللنعت دور في تماسك النص؛ من خلاله تأييده جهة التوبيخ والتبكيت بما تضمنه ما من معاني زيادة التبيين والمعاينة؛ التي تناسب موقف بيان جزاء المنحرفين، وتحقيق الاعتبار من حالهم.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هذا) مع السياق الصوتي للآية عمومًا، وتتفق معاني حروفه (هـ- ذ- ا) مع معاني (زيادة التبيين – المعاينة – التوبيخ) (٢)، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

- المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [التوبة: ٢٨] .

(١) يراجع: مفاتيح الغيب (٢٥١/١٤).

(٢) حيث يناسب معنى الهاء زيادة التبيين، ويناسب معنى الذال حصول المعاينة، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

وردت الآية في مطلع سياق يؤكد -من خلال أسلوب القصر [١]- كون المشركين نجسًا [٢]، ويرتب على ذلك الأمرَ بمنعهم من قربان المسجد الحرام [٣] بعد العام التاسع من الهجرة؛ تنزيهًا لتلك البقعة عن إقامة العبادة لغير الله تعالى، وقد وردت الآية عقب آيات تضمنت أوامر ونواهي وبيانًا لحِكَم وترغيب وترهيب بشأن مقاطعة المشركين؛ بسبب إفسادهم وسوء طويتهم تجاه المسلمين؛ فكانت الآية بمنزلة العلة في تأكيد مدافعتهم ووجوب شدة مقاطعتهم [٤].

وتمثل الآية الكريمة واحدة من أقدم الشبهات التي وقعت في نفوس الناس؛ وذلك أن النبي ﷺ لما أمر سيدنا عليًا ڤ بقراءة أول سورة براءة على مشركي مكة، وأن ينبذ إليهم عهدهم الذي لم يراعوه، ويبين لهم براءة الله ورسوله من المشركين؛ تكلم أناس من أهل مكة بأن ذلك سيؤدي إلى فاقة وحاجة وشدة؛ بسبب

---

(١) هو: تخصيص الموصوف (المخبر عنه) عند السامع بوصف دون غيره، وطريقه في الآية بـ (إنما). يراجع: مفتاح العلوم (ص: ٢٨٨).

(٢) اختلف في وصف المشركين بالنجس؛ فقيل: هو وصف حقيقي؛ لأنهم يجنبون فلا يغتسلون، أو لأنهم لا يجتنبون النجاسات. وقيل: هو وصف مجازي مفاده أنهم مستقذرون يجب اجتنابهم؛ من باب قولهم لكل مستقذر: نجس. وقيل: إنه على حذف مضاف: أي ذو نجس؛ لأنهم متلبسون بالشرك الذي هو بمنزلة النجس؛ فيكون معناه خبث الباطن. يراجع: جامع البيان (١٤/١٩٠-١٩٢)؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٤٤١)؛ والكشاف (٢/٢٦١)؛ وأنوار التنزيل (٣/٧٧). كما اختلف في المراد بالمشركين؛ فقيل: إنهم مشركو العرب عبدة الأوثان خاصةً. وقيل: إنه عام في كل مشرك. يراجع: أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٥ هـ) (٤/ ٢٧٩)؛ والمحرر الوجيز (٣/٢٠).

(٣) ذكر المفسرون في المراد بالمنع من قربان المسجد الحرام أقوالًا؛ ملخصها: أن المراد المنع من الحج والعمرة، وقيل: النهي عن القرب للمبالغة، وقيل: المنع من دخول الحرم، وقيل: المراد بالنهي عن الدخول مطلقًا، وقيل: المراد النهي عن تمكينهم منه. يراجع: أحكام القرآن، عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤٠٥ هـ) (٤/١٨٦)؛ ومدارك التنزيل (١/ ٦٧٣)؛ وإرشاد العقل السليم (٤/٥٧)؛ وروح المعاني (٥/٢٦٩).

(٤) يراجع: جامع البيان (١٤/١٩٠-١٩٢)؛ وتأويلات أهل السنة (٥/٣٢٦، ٣٣٦)؛ ومعاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٠٩هـ) (٣/١٩٥)؛ وبحر العلوم (٢/٥١).

انقطاع تجارات المشركين وبضائعهم التي كانوا يجلبونها لمكة؛ فجاءت الآية لتدفع تلك الشبهة بقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٨][(١)].

وقد جاء التعبير بالنعت [(٢)]﴿ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ ﴾ ضمن أسلوب نهي متفرع على ما ثبت من كون المشركين نجسًا، والمقصود بالنهي أمر المسلمين بمنع المشركين من قربان المسجد الحرام [(٣)].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

- الأولى: تعيين المراد بالعام المذكور في قوله تعالى: ﴿ عَامِهِمْ ﴾ بأنه العام التاسع من الهجرة [(٤)]؛ فكان النعت باسم الإشارة بمثابة النص في بيان ذلك العام.

---

(١) يراجع: مفاتيح الغيب (٢٠/١٦، ٢١).

(٢) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: إعراب القرآن وبيانه (٨٦/٤)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٢٧٨/٤)؛ والمجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم (٣٩٠/٢)، وزاد بعضهم إعرابه: بدلًا أو عطف بيان؛ كما في الجدول لإعراب القرآن (٣١٧/١٠).

(٣) يراجع: تأويلات أهل السنة (٣٢٦/٥، ٣٢٧)؛ والمحرر الوجيز (٢١/٣)؛ وإرشاد العقل السليم (٥٧/٤).

(٤) يراجع: مفاتيح الغيب (٢٣/١٦)؛ وأنوار التنزيل (٧٧/٣). وقد ذكر الإمام ابن العربي (وهو مروي عن قتادة): أن المراد بالنهي العام العاشر، ونص على أنه هو الصحيح الذي يعطيه مقتضى اللفظ؛ بناءً على أن النهي يكون فيما يستقبل، وأن المشار إليه هو الوقت الذي وقع فيه النداء. يراجع: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٤٧١)، وقد أجاب الإمام الشوكاني عن ذلك بأن الذي يعطيه مقتضى اللفظ هو خلاف ما زعم ابن العربي؛ فإن الإشارة بقوله: بعد عامهم هذا إلى العام المذكور قبل اسم الإشارة، وهو عام النداء؛ فالمراد النهي عن الدخول بعد يوم الدخول الذي وقع فيه الخطاب، وذكر ما يمكن به الجمع بين القولين؛ وهو أنه أراد تفسير ما بعد المضاف إلى عامهم ولا شك أنه عام عشر؛ فيكون حاصل القولين واحد. يراجع: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (دمشق-بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الأولى - ١٤١٤هـ) (٢/ ٣٩٩).

– الثانية: زيادة التمييز والتبيين للعام المنعوت (تأكيدًا)، وهذا نمط يقتضيه مقام الآية وسياقها؛ إذ مقصود الآية توكيد الأمر بإقصاء المشركين وإبعادهم عن البيت الحرام؛ تفريعًا على نجاستهم، مع الأمر إزالة كل ما من شأنه أن يجعل لدخولهم فائدةً أو متعلقًا؛ ويناسب ذلك تحديد توقيت لبدء هذا الحظر والمنع؛ بصورة لا تدع مجالًا لاحتمال أو تردد [(١)]، وهذا شأن الأوامر الجازمة.

يضاف إلى ما سبق ما يظهر من تضافر أنماط نظم الآية مع النعت على تحقيق غرضها ومقصودها من تقرير ما قبلها وأكادة مضمونها ووضوحه [(٢)].

وللنعت دور في تماسك النص؛ بما يؤديه من معاني التعيين وزيادة التمييز؛ بما يناسب مقام التشريع المقتضي تلك المعاني؛ ليكون الحكم المقصود واضحًا محددًا لدى كل من يصلح له الخطاب.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هذا) مع السياق الصوتي للآية عمومًا، وتتفق معاني حروفه (هـ– ذ– ا) مع معاني (زيادة التبيين – المعاينة – التوبيخ) [(٣)]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

كما لا يخفى اتساق نمط تعبير الآية مع طريقة سورة التوبة ونهجها العام في غلبة البيان القاطع والشديد على خطابها؛ سواءٌ في ذلك أوامرها ونواهيها.

---

(١) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (١٤٩/٨، ١٥٠).

(٢) يراجع: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني (٣٠٤/٤)؛ وزهرة التفاسير (٣٢٧٣/٦، ٣٢٧٤).

(٣) حيث يناسب معنى الهاء زيادة التبيين والتعيين، ويناسب معنى الذال زيادة التمييز، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال. يراجع: المعجم الاشتقاقي (٢٦/١-٤١).

– **المسألة الخامسة: قوله تعالى:** ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ ﴾[يوسف: ١٥].

وردت الآية ضمن سياق آيات تعرض بدايات أحداث قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع إخوته وتآمرهم عليه عليه السلام، حين طلبوا من أبيهم عليه السلام أن يرسله معهم، فلما كان مرادهم ذهبوا به وعزموا وأصروا على وضعه في أعماق البئر؛ تنفيذًا لما دبروه له من الأذى [1].

ويمكن تلخيص مقصود الآية في: أنها تمثل صورة من صور بيان البون الشاسع بين عاقبة كل من إرادة الخالق والمخلوق؛ حيث كانت إرادة إخوة يوسف إلحاق الأذى به؛ لإبعاده عن أبيه، بينما قضت إرادة الله خلوصَه من هذه المحنة، وحصول التمكين له في الأرض.

وقد جاء التعبير بالنعت [2]﴿ بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾ ضمن خبر بوقوع وحي من الله تعالى[3] يؤذن بكشف هذا الفعل الذي فعله إخوة يوسف به عليه السلام .

---

(١) اختُلف في تعيين جواب (لما) على أقوال: الأول: أنه محذوف تقديره: فعلوا به ما فعلوا من الأذى، الثاني: قوله تعالى: { وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ}، الثالث:{ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ } ودخول الواو على الجواب في الأخيرين للتأكيد. يراجع: جامع البيان (٥٧٣/١٥)؛ ولطائف الإشارات (١٧٣/٢)؛ والتفسير البسيط (٤١/١٢)؛ والكشاف (٤٤٩/٢)؛ وزهرة التفاسير (٣٨٠٩/٧).

(٢) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: إعراب القرآن وبيانه (٤٦١/٤)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٢٧٨/٥)؛ والمجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم (٤٩٤/٢)، وأعربه بعضهم: بدلًا أو عطف بيان؛ كما في الجدول لإعراب القرآن (٣٩٣/١٢).

(٣) اختُلف في الموحى إليه على قولين: الأول: أنه سيدنا يوسف عليه السلام؛ وهو الأظهر، الثاني: أنه سيدنا يعقوب عليه السلام. كما اختلف في كيفية الوحي ووقته؛ فقيل: كان بإلهام؛ وهو الأظهر؛ فيكون من قبيل الإرهاصات، وقيل: كان منامًا، وقيل: كان برسول. وأما وقته؛ فقيل: كان بعد إلقائه في الجب؛ تقويةً لقلبه، وقيل: كان قبل إلقائه في الجب. يراجع: جامع البيان (٥٧٥/١٥)؛ والمحرر الوجيز (٢٢٥/٣)؛ وتأويلات أهل السنة (٢١٥/٦، ٢١٦)؛ والهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٥١٦)؛

وحصول الإنباء بذلك الأمر مستقبلًا [١].

وظاهر مقصود الجملة الوارد بها النعت كما يفهم من مجمل آيات السورة: أن الله تعالى ألقى في قلب سيدنا يوسف عليه السلام الاطمئنان إلى المستقبل؛ بأن أعلمه بخلاصه من تلك المحنة، وأن المستقبل سيكون له، ومن مضامين مكانته أن إخوته سيكونون تحت سطوته وملكه حينئذٍ، بحيث يخبرهم بما فعلوه به، وهم لا يشعرون بكونه أخاهم؛ لعلو شأنه وقتها، وبعد ذلك عن أوهامهم، وطول العهد المغير للحلى والهيئات [٢].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

- الأولى: زيادة تبيين الأمر الذي فعلوه بسيدنا يوسف عليه السلام وتعيينه [٣]؛ ويتناسب هذا مع ما تضمنته الآية من صدق الوعد بالخلوص والبشرى بالمستقبل؛ بدلالة: { وَأَوۡحَيۡنَآ } وتوكيد الفعل{ لَتُنَبِّئَنَّهُم }.

والجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد ابن أحمد القرطبي (القاهرة: دار الكتب المصرية، الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) (١٤٢/٩).

(١) يراجع: جامع البيان (٥٧٥/١٥، ٥٧٦).

(٢) يراجع: مفاتيح الغيب (٤٢٨/١٨)؛ وأنوار التنزيل (١٥٧/٣)؛ وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى - ١٤١٩هـ) (٣٢١/٤). ومن بدائع التعبير القرآني في هذه الجملة القرآنية جواز تعلق الجملة الحالية: سمحوَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَسجى بأوحينا؛ ليكون المعنى: وأوحينا إليه ذلك وهم لا يشعرون بوحينا؛ لأنهم لو عرفوا لازدادوا حسدًا له وقتلوه، أو بلتنبئنهم؛ ليكون المعنى: لتنبئنهم بأمرهم على جهة التوبيخ وهم لا يدرون وقتئذٍ أنك يوسف؛ ويكون من باب التقوية لقلبه عليه السلام. يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٩٥/٣)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٥١٦/٥، ٣٥١٧)؛ والمحرر الوجيز (٢٢٦/٣)؛ ومفاتيح الغيب (٤٢٨/١٨)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٤٢/٩، ١٤٣).

(٣) يراجع: نظم الدرر (٢٩/١٠).

– الثانية: بيان عظمة الإساءة في الأمر الذي فُعل بسيدنا يوسف عليه السلام، والإشارة إلى أن ذلك مما لا ينبغي أن يكون [١]؛ بناءً على يتضمنه اسم الإشارة من معاني التعظيم والتحقير، حسب السياق.

قال العلامة الآلوسي رحمه الله: "والروايات في كيفية إلقائه وما قال وما قيل له كثيرة، وقد تضمنت ما يلين له الصخر، لكن ليس فيها ما له سند يعول عليه، والله تعالى أعلم" [٢].

– الثالثة: الإشارة إلى أهمية موقع المنعوت باسم الإشارة (أمرهم) من عِبَر القصة؛ فهو أمر محوري؛ حيث كان بمثابة البداية الفعلية لأحداث الشدة والمعاناة في القصة، لكنه في الوقت ذاته يتضمن حكمة خلاصتها: أن من أيقن بالغايات السامية، هانت عليه في سبيلها المشاق والشدائد [٣].

ويتسق أسلوب النعت بما تضمنه من زيادة تبيين الأمر، وعظم الإساءة، وحقارة التصرف، ومحورية ذلك الأمر بالنسبة لأحداث القصة ككل مع مقصود الآية وغرضها في تأكيد وضوح مصير صاحب القصة ومستقبله.

وللنعت دور في تماسك النص؛ بما يؤديه من معاني زيادة التبيين للمنعوت، وبيان عظم الإساءة فيه، ومحورية هذا الأمر في القصة؛ بما يناسب مقام الاعتبار والعظة.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هذا) مع السياق الصوتي للآية عمومًا، وتتفق معاني حروفه (هـ– ذ– ا) مع

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٣٤/١٢).
(٢) روح المعاني (٦/ ٣٨٩).
(٣) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٢٣٣/١٢).

معاني (زيادة التبيين – الشدة والعظم – الأهمية) (١)، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– **المسألة السادسة: قوله تعالى:** ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ۖ وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يوسف: ٩٣].

جاءت هذه الآية ضمن سياق يتناول بعض تفاصيل لقاء سيدنا يوسف عليه السلام بإخوته، وهو سياق طويل يبدأ من مجيء إخوة سيدنا يوسف إلى مصر طلبًا للميرة والزاد زمن القحط والمجاعة، ودخولهم على أخيهم، ومعرفته لهم وعدم معرفتهم به؛ لتطاول الزمان وتغير الهيئات، وكان بعد حصول اللقاء والمعرفة بينهم أن سألهم سيدنا يوسف ﷺ عن أبيهم؛ فأخبروه بذهاب بصره؛ حزنًا على فراقه وفراق أخيه؛ وحينها أعطاهم قميصه، وأمرهم بالذهاب لإلقائه على وجه أبيه ﷺ، ليأت إلى مصر وقد عاد بصره، وأمرهم أن يأتوه بأهلهم أجمعين ليكرمهم ويبرهم؛ بعد ما تابوا عن فعلهم، وأقروا بخطئهم (٢).

ويمكن تلخيص مقصود الآية في أنها إحدى العبر المهمة في القصة؛ حيث تكشف عن صورة بديعة من أخلاق الكبار، وشيم الكرام؛ وهي كون العفو والمودة الواصلة طابعًا لهم؛ رغم ما قد يغمرهم به الموصولون من حسدٍ أو نحوه(٣).

(١) حيث يناسب معنى الهاء زيادة التبيين، ويناسب معنى الذال عظم إساءتهم في الأمر المنعوت، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

(٢) يراجع: جامع البيان (٢٤٨/١٦)؛ وتأويلات أهل السنة (٢٨٤/٦، ٢٨٥)؛ وتفسير بحر العلوم (٢٠٩/٢)؛ والكشاف (٥٠٣/٢).

(٣) يراجع: زهرة التفاسير (٣٨٥٧/٧).

وقد جاء التعبير بالنعت [1]{بِقَمِيصِي هَذَا} ضمن جملة الأمر الموجه من يوسف عليه السلام لإخوته بالذهاب بقميص معين؛ ليلقوه على وجه أبيه، فيعود إليه بصره ...

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

- الأولى: زيادة تبيين المنعوت، وتعيينه بأنه القميص الذي كان يلبسه سيدنا يوسف عليه السلام وقتئذٍ ويشاهدونه؛ حيث في النعت بـــ (هذا) تقييد واحتراز عما يمكن أن يقع في أذهانهم من احتمال إرادته (على جهة التبكيت أو نحوها) قميصًا آخر؛ كقميصه الذي جاؤوا به أباهم عشاءً يبكون بعد إلقائه في الجب، وكان ذلك محتملًا لو اقتصر النظم على قوله: (اذهبوا بقميصي) [2].

- الثانية: الإشارة إلى أهمية قميص سيدنا يوسف عليه السلام المنعوت وموقعه المحوري من القصة كلها، وكونه رمزًا لموحيات كثيرة فيها؛ حيث كان في عدم تمزقه دلالة على براءة الذئب، كما كان في تمزقه في واقعة امرأة العزيز دلالة

(١) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: إعراب القرآن للنحاس (٢١٤/٢)؛ والجدول لإعراب القرآن (٦٠/١٣)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٥٤/٥)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٣٧١/٥)، ، وأعربه بعضهم: بدلًا أو عطف بيان.

(٢) يراجع: نظم الدرر (٢١٢/١٠)؛ أنوار التنزيل (٣/ ١٧٦). وقد ورد في شأن القميص روايات؛ أشهرها أنه كان قميصًا من الجنة ورثه سيدنا يوسف عن جده سيدنا إبراهيم ؏؛ حيث ألبسه إياه سيدنا جبريل ؏ حين نجاه الله من النار، وقيل: وقيل: هو القميص الذي قد من دبر، أرسله ليعلم يعقوب أنه عصم من الفاحشة. وقد تعقب الإمام ابن عطية هذه الروايات بأنها تحتاج إلى سند، ورجح أن الظاهر كونه قميصًا من قمص سيدنا يوسف ؏، وأن ذلك أنسب لظهور الغرابة في وجد أبيه ؏ ريحه من بعد، ولو كان من قمص الجنة لما كان في ذلك غرابة، ولوجد ريحه كل أحد. يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٧٨)، وتُعُقِب استدلال ابن عطية بأن ما ظهر من الجنة إلى دار الدنيا لا يبقى على حاله دائماً لأنه من أسرار الغيب، بل لا يجده إلا أهل الذَّوْق من أهل القرب، كنور الحجر الأسود، وغيره مما نزل. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (القاهرة: طبعة الدكتور حسن عباس زكي، الأولى، ١٤١٩ هـ) (٢/ ٦٢٥).

على براءته، ثم كان في النهاية دلالة صدق إخوته وسببًا معنويًا لشفاء أبيه عليه السلام[1].

-الثالثة: يفيد نعت القميص باسم الإشارة (هذا) أن سيدنا يوسف ﷺ أعطاهم بالفعل قميصًا؛ ليكون بمثابة شعار وعلامة لأبيه على حياته؛ كما هي عادات الناس يومئذٍ؛ حيث كانت تعتريهم الفتن والاغتراب والفقد والفراق بسبب الغزو والغارات وقطع الطريق، يضاف إلى ذلك ما فيه من وثوق أبيه بحياته ووجوده في مصر؛ فلا يظن الدعوة إلى قدومه مكيدة من ملك مصر، وفيه أيضًا قصد تعجيل المسرة لأبيه عليه السلام، وليكون أيضًا علامة على صدق إخوته فيما يبلغونه إلى أبيهم من أمر سيدنا يوسف عليه السلام؛ خاصة وأنه قد سبق منهم الكذب في شأنه[2].

كما يتسق النعت باسم الإشارة (هذا) بما يتضمنه من دلالة على التعيين والمشاهدة مع ما تضمنته الآية من البشرى القاطعة برجوع بصر سيدنا يعقوب عليه السلام [3].

وغير خافٍ ما للنعت من دور في تماسك النص؛ بما يؤديه من معاني تحديد المنعوت وتبيينه، وبيان أهميته، وحصول الإعطاء من سيدنا يوسف لإخوته؛ بما يناسب مقام الاعتبار والعظة بما تضمنته القصة.

---

(١) يراجع: لطائف الإشارات (٢٠٥/٢)؛ والنكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت) (٣/ ٧٦).

(٢) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٥٠/١٣، ٥١).

(٣) قيل: إن ذلك على الأرجح كان بوحي من الله تعالى لسيدنا يوسف ﷺ، وقيل: كان ذلك استنتاجًا من يوسف عليه السلام؛ بناءً على ما تقرر في الطب من كون انشراح الصدر وحصول الفرح قد يكون سببًا في دفع بعض الأمراض وعلاجها، كما يكون مقابلها سببًا في جلبها. يراجع: تأويلات أهل السنة (٦/ ٢٨٤)؛ والمحرر الوجيز (٢٧٨/٣)؛ ومفاتيح الغيب (١٨/ ٥٠٧)؛ ومحاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى - ١٤١٨ هـ) (٦/ ٢١٦).

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هذا) مع السياق الصوتي للآية عمومًا، وتتفق معاني حروفه (هـ– ذ– ا) مع معاني (التحديد– التبيين – الأهمية) [1]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– المسألة السابعة: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الكهف: ١٩].

وردت الآية ضمن سياق يتناول خبر أصحاب الكهف حين بعثهم الله تعالى من رقدتهم؛ ليصير ما علمه الله تعالى من سؤال بعضهم بعضًا مستنكرين طول مدة رقادهم، فجاء جواب أحدهم على سبيل الظن: يومًا أو بعض، ثم كان منهم تفويض علم مدة الرقاد إلى الله تعالى، وعلى إثرها اقترحوا إرسال واحد منهم بدراهم لهم؛ ليأيتهم بطعام من مدينتهم المعهودة لهم، ومقصود التساؤل أن تنكشف لهم من خلاله أمور عجيبة وأحوال غريبة من قدرة الله تعالى [2].

وجاء التعبير بالنعت [3]{ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ } ضمن جملة نُزّلت منزلة المسبب عن تسليمهم أمر تحديد مدة رقادهم ولبثهم في الكهف إلى الله تعالى، ومترتبةً على إعراضهم عن الخوض في غير المهم إلى الأهم [4].

---

(١) حيث يناسب معنى الهاء زيادة التبيين والتحديد، ويناسب معنى الذال التحديد والوضوح والأهمية (النفاذ)، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

(٢) يراجع: جامع البيان (٦٢٧/١٧- ٦٣٧)؛ وتأويلات أهل السنة (١٥١/٧)؛ والمحرر الوجيز (٥٠٥/٣)؛ ومفاتيح الغيب (٤٤٥/٢١).

(٣) ورد إعراب اسم الإشارة (هذه) نعتًا في: إعراب القرآن وبيانه (٥٥٦/٥)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٣٦٣/٦)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (٦٤٠/٢)، وأعربه بعضهم: بدلًا أو عطف بيان. يراجع: الجدول لإعراب القرآن (١٥٩/١٥).

(٤) يراجع: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٣٤٧/٦)؛ والتفسير البسيط (٥٦٧/١٣).

وفي النعت باسم الإشارة (هذه) دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: تبيين الورق (المنعوت) وتعيينه، وقد قيل: إنه فضةٌ معينةٌ لديهم[١].

– الثانية: الإشارة إلى أن القائل ناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك [٢]؛ بناءً على ما يتضمنه اسم الإشارة من معاني الحضور والمشاهدة.

– الثالثة الإيجاز؛ بحيث أغنى اسم الإشارة عن العبارة.

وللنعت دور واضح في تماسك النص؛ بما مثله من إطالة موجزة اتسق بها نظم الجملة (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة)؛ من خلال الفصل بين متعلقات الفعل (بورقكم – إلى المدينة)؛ خاصةً أن ذلك أدى إلى تمام المعنى، ووضوحه؛ ولهذا أثره على المتلقي.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت (هذه) مع السياق الصوتي للآية عمومًا، وتتفق معاني حروفه (هـ– ذ– ه) مع معاني (التبيين – التعيين – العظم) [٣]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– **المسألة الثامنة: قوله تعالى:** ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ بالكهف: ٦٢].

وردت الآية ضمن سياق يتناول خبر سيدنا موسى عليه السلام حين قال لفتاه يوشع بن نون [٤]: إنه لن يزال سائرًا حتى يبلغ الموضع الذي يلتقي فيه البحران؛ وهو

---

١ - يراجع: نظم الدرر (٣٢/١٢)؛ وإرشاد العقل السليم (٢١٤/٥)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢٨٥/١٥).

٢ - يراجع: إرشاد العقل السليم (٢١٤/٥).

٣ - حيث يناسب معنى الهاء التبيين والتوضيح للورق المنعوت، ويناسب معنى الذال عظم الورق المنعوت. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

٤ - قيل: كان غلامه وخادمه، وقيل: كان تابعه وصاحبه للعلم، وقيل: كان ابن أخته. وعلى كلٍ فقد كان مرافقًا لسيدنا موسى في تلك القصة. يراجع: تأويلات أهل السنة (١٩٠/٧)؛ الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٤١٥/٦).

الموضع الذي وُعد للقاء سيدنا الخضر عليه السلام؛ وإن سار زمنًا طويلًا حتى يلقاه ليتعلم منه، ثم إنهما بلغا الموضع، وفارقا المكان وقد ترك الفتى المكتل وفيه زادهما، فانسل منه الحوت، وذهب في البحر [١].

وجاء التعبير بالنعت [٢] {سَفَرِنَا هَٰذَا} ضمن جملة مؤكَدة نُزّلت منزلة العلة لطلب سيدنا موسى عليه السلام من غلامه إحضار طعام الغداء، وكان توقيت الخطاب المحكي في الآية بعد مجاوزة سيدنا موسى عليه السلام ومرافقه موضع مجمع البحرين، حيث كانا قد تركا زادهما به، وبلغ التعب منهما مبلغًا [٣].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

- الأولى: تبيين السفر (المنعوت) وتوضيحه، وتحديد المراد به بالنسبة للمخاطب في القصة، وهذا هو الغرض الرئيس في النعت.

- الثانية: الإشارة إلى عظم المشقة الحاصلة في السفر المذكور؛ حتى ميزه بالإشارة إليه [٤]، وهذا أبلغ في التعبير؛ لما يتضمنه اسم الإشارة من معاني الحضور والمشاهدة؛ بحيث تغني الإشارة عن العبارة، بالإضافة إلى ما في ذلك من الإيجاز.

وقد يقال: إن ذلك المعنى مستفاد صراحةً من قوله تعالى: {لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} ؛ فما الذي أضافه النعت إذًا؟

---

(١) يراجع: جامع البيان (٥٥/١٨- ٦٠)؛ وتأويلات أهل السنة (١٩٠/٧، ١٩١)؛ والتفسير البسيط (٦٧/١٤-٧٥). وقد أخرج القصة الإمام البخاري؛ في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (ح:٣٤٠١).

(٢) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: الجدول لإعراب القرآن (٢١٩/١٥)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٦٢٩/٥)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٤١٣/٦)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (٦٥٣/٢)، وأعربه بعضهم: بدلًا أو عطف بيان.

(٣) يراجع: نظم الدرر (٩٧/١٢)؛ وإرشاد العقل السليم (٢٣٢/٥، ٢٣٣).

(٤) يراجع: لطائف الإشارات (٤٠٦/٢)؛ وأنوار التنزيل (٢٨٧/٣).

والجواب: أن النعت باسم الإشارة أضاف إلى ما استفيد من العبارة من معاني المشقة والتعب تمييزًا لهما يشبه المبالغة؛ بمعنى أنه نصبٌ ليس كالنصب الذي يكون في كل سفر، بل هو نصب عظيم بالغ مبلغه؛ بدلالة ما ورد في الآية من لحوق الجوع له عليه السلام حتى طلب إحضار الطعام.

– الثالثة: أفاد عدد من المفسرين من نعت السفر باسم الإشارة؛ بناءً على ما في لفظ (هذا) من معنى القرب تعيين السفر المقصود في الآية، وأنه سفر قريب، وهو سفر ذلك اليوم الذي كان فيه الخطاب، وذكروا أن المقصود به تحديدًا مرحلة ما بعد مجاوزتهما الصخرة التي كانت موعد سيدنا موسى للقاء سيدنا الخضر عليه السلام [1].

ويشهد لهذا الاستنباط ما ورد في السنة الشريفة من قوله ﷺ: " ولم يجد موسى مسًّا من النصب حتى جاوز المكان الذي أُمر به" [2].

كما يمثل النعت باسم الإشارة (هذا) لونًا من ألوان إيجاز الكلام؛ الذي يقتضيه حال التعب والمشقة المنصوص عليهما في الآية؛ من باب الاكتفاء بدلالة الإشارة عن بسط العبارة.

يضاف إلى ما سبق ما للنعت من دور واضح في تماسك النص؛ بما مثله من إطالة موجزة اتسق بها نظم الجملة (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا)؛ من خلال الفصل بين متعلقات الفعل (من سفرنا – نصبًا)، وما نتج عن ذلك أيضًا من تمام المعنى، ووضوحه؛ ومن ثم التأثير إيجابًا في المتلقي.

---

(١) يراجع: الكشاف (٢/٧٣٢)؛ وأنوار التنزيل (٣/٢٨٧)؛ ونظم الدرر (١٢/٩٧)؛ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد المعروف بالخطيب الشربيني الشافعي (القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية)، د.ط، ١٢٨٥هـ) (٢/٣٨٩).

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، (ح:١٢٢).

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هذا) مع السياق الصوتي للآية عمومًا، وتتفق معاني حروفه (هـ– ذ– ا) مع معاني (التبيين والتوضيح – العظم والمشقة) [1]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– **المسألة التاسعة: قوله تعالى:** ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وردت الآية ضمن سياق قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ حيث كان من أحداثها قيام سيدنا إبراهيم وقت انشغال قومه بعيدٍ لهم بتكسير أصنامهم دون أن يراه أحد منهم، وعلى إثرها رأى قومه الإتيان به على أعين الناس ليقر بفعلته، وليشهد الناس عقابهم له، فلما أتوا به سألوه عن فاعل التكسير؛ فأجابهم بقوله: بل فعله كبيرهم هذا؟ فاسألوا الآلهة من قام بتكسيرها إن كانت تنطق أو تعبر عن نفسها؛ تبكيتًا لهم وإلزامًا للحجة [2].

وقد جاء التعبير بالنعت [3]{ كَبِيرُهُمْ هَذَا } ضمن جملة جواب سيدنا إبراهيم عليه السلام عن استفهام من قومه لتقرير فاعل تكسير الأصنام، وصدّر الجملة بـ (بل) ليبطل زعمهم المفهوم من استفهامهم (أأنت فعلت؟)، وأتبعها بقوله: (فعله كبيرهم

(١) حيث يناسب معنى الهاء التبيين والتوضيح للسفر المنعوت، ويناسب معنى الذال عظم مشقة السفر، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

(٢) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن، (٤٦١/١٨)؛ والكشاف (٣/ ١٢٤)؛ والمحرر الوجيز (٨٦/٤)؛ وأنوار التنزيل (٥٥/٤)؛ ومدارك التنزيل (٤١٠/٢).

(٣) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط.ت) (٩٢١/٢)؛ والجدول لإعراب القرآن (٤٦/١٧)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٣٣٤/٦)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٢٣٤/٧)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (٧٢٦/٢)، وأعربه بعضهم: بدلًا.

هذا) لزيادة تشكيكهم في تحديد الفاعل (من خلال الظن بكون الفاعل كبيرهم؛ لغضبه من عبادتهم غيره معه)؛ تدرجًا بهم إلى تقرير الوحدانية [(١)].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: تبيين الصنم (المنعوت) وتعيين المراد به بالنسبة للمخاطبين في القصة (قوم سيدنا إبراهيم)، وهذا هو الغرض الرئيس في النعت.

– الثانية: الإشارة إلى تعظيمهم الصنم المنعوت؛ بدلالة الاقتران بلفظ (كبيرهم)؛ من باب مجاراة الخصوم، وإمعانًا في التبكيت لهم والإعياء وإقامة الحجة عليهم، ومن ثمّ حملهم على التأمل في شأن آلهتهم المزعومة؛ ويكون تأويل الكلام: لعل كبيرهم فعل بهم هذا؛ وكأنه غضب من أن تعبد معه هذه الصغار، وهو أكبر منها؛ فقام بتكسيرها !! [(٢)]. وبهذا يتسق أسلوب النعت مع مقصود الآية والجملة.

---

(١) يراجع: روح المعاني (٦٢/٩، ٦٣)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٠٠/١٧، ١٠١). وقد ذكر في إسناد سيدنا إبراهيم ﷺ الفعل إلى الصنم الكبير وجوه: - الأول: أنه من باب التجوز؛ فقد كسر سيدنا إبراهيم ﷺ الأصنام بسبب تعظيم قومهم لكبير الأصنام بالعبادة؛ ولذا أسند التكسير إليه من باب المجاز العقلي؛ لكونه سببًا، وغرضه من ذلك إظهار عجز الصنم؛ وبالتالي عدم استحقاقه التعظيم والعبادة. - الثاني: أنه من باب تقرير نفي الفعل عن الصنم على الوجه الأبلغ؛ بناءً على تردد الفعل بين الصنم (العاجز عن الفعل) وبين سيدنا إبراهيم ﷺ(القادر على الفعل)، ويكون إسناده إليه من باب الكناية التعريضية. - الثالث: أنه من باب الحكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه؛ بناءً على اعتبارهم ذلك الصنم أعظم الآلهة؛ فبنى على ذلك أن عظم ألوهيته يقتضي أن لا يعبد معه غيره، كما يقتضي إفناء من شاركه في ذلك؛ توصلًا إلى دليل الوحدانية. يراجع: عنايه القاضي وكفاية الراضي (٦/ ٢٦٠).

(٢) يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٩٦/٣)؛ وتأويلات أهل السنة (٣٥٦/٧)؛ والهداية الى بلوغ النهاية (٧/ ٤٧٧٠)؛ والتفسير البسيط (١١٠/١٥-١١٢)؛ والنكت في القرآن الكريم، أبو الحسن علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) (ص: ٤١٨)؛ وإرشاد العقل السليم (٧٤/٦).

– الثالثة: يتضمن الإشارة إلى أنه كان في الأصنام كبير غير الصنم المنعوت؛ كما يفيد قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٨]، فهو أحد العظماء، وليس الوحيد في ذلك [١].

يضاف إلى ما سبق أن للنعت دورًا في تماسك النص؛ بما يمثله من تعزيز لمجاراة سيدنا إبراهيم غ لهم، وإطالة للكلام؛ حيث فصل النعت (هذا) بين جملة بيان الفاعل{ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ}.

والمترتب على بيانه ؛ { فَسْـَٔلُوهُمْ } وهذا يناسب ورود الكلام كله على جهة التهكم والسخرية وقصد الإعياء للخصم؛ كما يشير قوله تعالى عقبه:{ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ } [٢].

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هذا) مع السياق الصوتي للآية عمومًا، كما تتفق معاني حروفه (هـــ– ذ– ا) مع معاني (التبيين – العظم –الامتداد؛ بمعنى تعدد الكبار) [٣]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– **المسألة العاشرة: قوله تعالى:** ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفرقان: ١٧] .

وردت الآية ضمن بداية سياق يبين حال المكذبين بالساعة العابدين للأوثان، حين يجمعهم الله تعالى للحساب مع معبوداتهم التي اتخذوها من دون الله من

(١) يراجع: نظم الدرر (١٢/ ٤٤٠).
(٢) يراجع: زهرة التفاسير (٩/ ٤٨٨٨).
(٣) حيث يناسب معنى الهاء التبيين، ويناسب معنى الذال العظم، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال والامتداد. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

الملائكة والجن والإنس، حيث يخاطب الله تعالى من كان يعبدهم المشركون: أكان ضلال هؤلاء بسببكم؟ أم هم من ضل بغير سبب منكم؟ (١).

وقد جاء التعبير بالنعت (٢){عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ} ضمن جملة استفهام على جهة توبيخ المشركين، وتقرير تكذيبهم فيما ادعوه من حصول الإضلال لهم بسبب المعبودات (٣).

وبناءً على ما سبق فمقصود الآية: الخبر عن توبيخ الله تعالى للمشركين يوم القيامة؛ من خلال توقيف المعبودين على مقولة المشركين وادعائهم؛ ليقع منهم الجواب بالتبري من هذا الذنب، ويقع الخزي على المشركين (٤).

وفي النعت باسم الإشارة (هؤلاء) دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: زيادة تبيين (المنعوتين) وتوضيح المراد بهم، وهم المكذبون بالساعة المشركون مع الله غيره؛ كما يفهم من سباق الآية، وهذا هو الغرض الرئيس في النعت.

– الثانية: التناسب بين دلالة زيادة تعيين المنعوت (المستفادة من اسم الإشارة) وكون المقصود بالاستفهام الفاعل (المضِل) وليس الفعل (الإضلال)؛ بدلالة زيادة (أنتم) و(هم) في النظم الشريف (٥)؛ وهذا يعني أن المقام مقام تعيين وتبيين؛ فيناسبه النعت باسم الإشارة.

---

(١) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٤٧/١٩)؛ وتأويلات أهل السنة (١٣/٨، ١٤)؛ وبحر العلوم (٥٣٢/٢)؛ والتفسير البسيط (٤٣١/١٦، ٤٣٢)؛ وفتح القدير (٧٨/٤).

(٢) ورد إعراب اسم الإشارة (هؤلاء) نعتًا في: التبيان (٩٨٢/٢)؛ والكتاب الفريد (١١/٥)؛ والجدول لإعراب القرآن (٣١٤/١٨)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٦٨١/٦)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (١٠٧/٨)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (٨١٢/٣)، وأعربه بعضهم: بدلًا.

(٣) يراجع: تأويلات أهل السنة (١٤/٨)؛ والنكت والعيون (١٣٦/٤).

(٤) يراجع: الكشاف (٢٦٩/٣)؛ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٠٣)

(٥) يراجع: الكشاف (٢٦٨/٣)؛ ومفاتيح الغيب (٤٤٢/٢٤).

– الثالثة: يناسب النعت باسم الإشارة (هؤلاء) ما يفيده السياق من الدلالة على كمال هول اليوم المذكور وفظاعته؛ بما يؤذن بقصور العبارة عن بيان ما فيه؛ فيناسبه تعيين أولئك المكذبين بطريق الإشارة [١].

هذا بالإضافة إلى ما يحققه النعت من تماسك النظم؛ بما يمثله من إطالة للكلام؛ يتسق بها نظم الجملة ويتضح؛ حيث فصل النعت بين الفاعلين المقصود تحديد واحد منهما بالاستفهام التقريري؛ مما يزيدهما بيانًا، ويناسب مقام الحساب والجزاء.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هؤلاء) مع السياق الصوتي للآية عمومًا، وتتفق معاني حروفه مع معاني (زيادة التبيين – تحديد الفاعل – الشدة والتهويل) [٢]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– **المسألة الحادية عشرة: قوله تعالى:** ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: ٢٨].

وردت الآية ضمن أحداث قصة سيدنا سليمان عليه السلام؛ ضمن سياق غياب الغياب الهدهد وتوعد سيدنا سليمان عليه السلام له إن لم يأت على غيابه بحجة بينة، حيث بين له سيدنا سليمان أنه سيتوقف في الحكم عليه بالصدق أو الكذب؛ وأمره أن يذهب بكتابه إليهم، ثم يتول عنهم (عائدًا إليه، أو متواريًا عنهم مراقبًا)؛ لينظر ماذا يكون جوابهم [٣].

---

(١) يراجع: إرشاد العقل السليم (٢٠٨/٦).

(٢) حيث يناسب معنى الهاء زيادة التبيين، ويناسب معنى الهمزة التحديد والقطع، ويناسب معنى الواو اشتمال العبارة على المعنى المراد، ويناسب معنى اللام امتداد الحكم مع تميز واستقلال، ويناسب حرف المد تأكيد معنى سابقه. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

(٣) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن (٤٥٠/١٩، ٤٥١)؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٧/٤)؛ وتأويلات أهل السنة (١١٢/٨)؛ ومفاتيح الغيب (٥٥٤/٢٤).

وقد جاء التعبير بالنعت [1] { بِّكِتَٰبِي هَٰذَا } ضمن جملة أمر من سيدنا سليمان ﷺ للهدهد مسوق على جهة الاستئناف؛ بيانًا للجملة السابقة لها ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل: ٢٧] [2].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: تعيين الكتاب (المنعوت)، وهذا هو الغرض الرئيس في أسلوب النعت.

– الثانية: الإشارة إلى كون الكتاب كان معدًا مهيئًا حاضرًا عنده؛ بناءً على ما في اسم الإشارة من معنى الحضور والقرب.

– الثالثة: يتسق النعت باسم الإشارة مع مقام النظم؛ حيث كان الحال مقلقًا؛ بسبب سجود القوم لغير الله تعالى؛ مما يقتضي غاية الإسراع في معالجة تلك الحال؛ فجاء الأمر بالذهاب والبلاغ على وجه السرعة؛ بدلالة اقترانها بالعطف بالفاء في قوله تعالى: { فَأَلْقِهْ }[3].

يضاف إلى ما سبق أن للنعت دورًا في تماسك النص؛ بما يمثله من تعيين موجز للمنعوت، وإطالة للكلام؛ من خلال الفصل بين متعلق الأمر الأول (بكتابي) والأمر الثاني (فألقه)؛ وهذا يناسب ورود الكلام كله على جهة التعيين والتحديد.

---

(١) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: إعراب القرآن وبيانه (٢٠١/٧)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٢٩٢/٨)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (٨٦٧/٣)، وأعربه بعضهم: بدلًا أو عطف بيان. يراجع: الجدول لإعراب القرآن (١٥٨/١٩).

(٢) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (١٠٠/١٧، ١٠١).

٣ - يراجع: نظم الدرر (١٤/ ١٥٦)؛ وروح المعاني (١٨٨/١٠).

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه (هذا) مع النظام الصوتي للآية عمومًا، كما تتفق معاني حروفه (هــ- ذ- ا) مع معاني (التبيين – عظم الأمر) [1].

– **المسألة الثانية عشرة: قوله تعالى:** ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾ [القصص: ٢٧].

وردت الآية ضمن قصة سيدنا موسى ﷺ بعد خروجه من مصر إثر قتله القبطي من قوم فرعون، وتوجهه جهة أرض مدين، حيث وصل ماء مدين الذي يستقون منه، ووجد جماعة من الناس يسقون، ومن دونهم امرأتين تحبسان أغنامهما حتى يسقي الناس؛ فأشفق عليهما سيدنا موسى ﷺ فسقى لهما أغنامهما، وانصرف إلى الظل، إلى أن جاءته إحداهما تستدعيه للقاء أبيها ليكافئه على بره بهما [2].

وقد جاء النعت [3] { ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ } ضمن استئناف بياني، مترتب على طلب إحدى البنتين من أبيها أن يتخذ سيدنا موسى ﷺ أجيرًا، والخطاب لسيدنا موسى

(١) حيث يناسب معنى الهاء التبيين، ويناسب معنى الذال العظم، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى ما قبله. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

(٢) يراجع: تأويلات أهل السنة (٨/١٥٩-١٦٣)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية (٨/٥٥٢١)؛ ومعالم التنزيل (٣/٥٣٠، ٥٣١).

(٣) ورد إعراب اسم الإشارة (هاتين) نعتًا في: التبيان (٢/١٠١٩)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٧/٣٠٧)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٨/٣٨٧)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (٣/٨٨٩)، وأعربه بعضهم: عطف بيان؛ كما في الجدول لإعراب القرآن (٢٠/٢٤٧).

عليه السلام يعرض عليه صالح مدين نكاح إحدى ابنتيه الحاضرتين، نظير أن يعمل لديه ثماني سنوات أو يزيدها إلى عشر تفضلًا منه، وهذا هو مقصود الآية [١].

وفي النعت باسم الإشارة (هاتين) دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: زيادة تبيين المنعوت { ٱبۡنَتَيَّ } والإشارة إلى حضورهما وتعينهما بالنسبة للمخاطب (سيدنا موسى عليه السلام)، وفي هذا الاستعمال من الإيجاز ما لا يخفى؛ حيث أفاد اسم الإشارة كون المرأتين هما الحاضرتين اللتين سقى لهما [٢].

– الثانية: يناسب استعمال اسم الإشارة مقام العرض [٣] الذي وردت فيه الآية؛ كما يفيده قوله تعالى:{ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ} ، ولعين المعقود عليها [٤].

– الثالثة: استنبط بعض المفسرين من النعت باسم الإشارة أن الرجل الصالح كان له بنات غيرهما [٥].

وقد اعتُرض على هذا الاستنباط بأن اسم الإشارة لا يفيد ذلك؛ لعدم علم سيدنا موسى عليه السلام بأن لصالح مدين بناتٍ غيرهما، وتعُقِب بأن في ذكر الإشارة دلالة على أن للمخاطب علمًا بوجود غيرهما [٦].

---

(١) يراجع: أحكام القرآن لابن العربي (٤٩٤/٣، ٤٩٧)؛ ومفاتيح الغيب (٢٤/ ٥٩١)؛ وروح المعاني (٢٦٧/١٠).

(٢) يراجع: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٣/ ٩٤)؛ ونظم الدرر (٢٧٠/١٤).

(٣) وهو مقام يقتضي حصول المعاينة والمشاهدة والحضور، وكلها مستفاد من دلالة اسم الإشارة على معنى القرب. يراجع: تفسير التحرير والتنوير (١٠٦/٢٠).

(٤) يراجع: أحكام القرآن لابن العربي (٤٩٧/٣)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٦٣٨)؛ وتفسير البحر المحيط (٢٩٩/٨).

(٥) يراجع: الكشاف (٣/ ٤٠٤)؛ و البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٢٤٥).

(٦) يراجع: روح المعاني (١٠/ ٢٧٦).

– الرابعة: أن في استعمال اسم الإشارة احترازًا عن بقية بنات أمة النبي؛ فكلهم بناته؛ على نسق قوله تعالى على لسان سيدنا لوط عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ [هود: ٧٨] ، وهذا على فرض كون صالح مدين سيدَنا شعيبًا عليه السلام [(١)]

وللنعت دور في تماسك النص؛ بما يؤديه من معاني زيادة التبيين للمنعوت (ابنتي)، وحضورهما؛ وبالتالي تميزهما لدى المخاطب؛ بما يناسب تحقيق الجمع بين وجازة اللفظ وحصول غرض الكلام ووضوحه، بالإضافة إلى فصل لفظ (هاتين) بين العرض والمقابل؛ بما يناسب وجود مساحة ولو كانت وجيزة للتفكير والتأمل.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه مع السياق الصوتي للآية عمومًا، كما تتفق معاني حروفه مع معاني (زيادة التبيين – الدقة – التميز – الثبات) [(٢)]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– المسألة الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤ ﴾ [السجدة: ١٤] .

وردت الآية ضمن سياق يبين مشهدًا من مشاهد أحوال المكذبين بالبعث يوم القيامة، حين يدخلون النار ويقال لهم [(٣)]: ذوقوا عذاب النار؛ جزاء غفلتكم في

(١) وقد اختلف في ذلك؛ فقيل: هو سيدنا شعيب، وقيل: هو ابن أخيه، وقيل: غيرهما. يراجع: تأويلات أهل السنة (١٦٣/٨)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية (٥٥٢١/٨)؛ ومعالم التنزيل (٥٣٠/٣).

(٢) حيث يناسب معنى الهاء زيادة التبيين، ويناسب معنى التاء الدقة، ويناسب معنى الياء والنون الثبات وامتداده، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى التاء. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

(٣) اختلف في القائل؛ فقيل: هو الله تعالى، وقيل: خزنة النار، كما اختلف في المنسي؛ فقيل: هو الإيمان بيوم القيامة، وقيل: هو الميثاق الذي أخذ منهم بقوله تعالى:{أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ}[الأعراف: ١٧٢]، وقيل: هو ما في الفطرة من الوحدانية؛ بدلالة إقبالهم على الدنيا وانشغالهم بها، وقيل: هو لقاء هذا اليوم. والنسيان إما أن يكون المراد خلاف التذكر، أو يكون كناية عن الترك. يراجع: التفسير البسيط (١٤٦/١٨، ١٤٧)؛ ومفاتيح الغيب (٢٥/ ١٤٦)؛ وأنوار التنزيل (٢٢١/٤).

الحياة الدنيا عن لقاء ربكم في هذا اليوم للحساب، إنا تاركوكم اليوم في العذاب ولا نرحمكم، ويقال لهم أيضًا: ذوقوا عذابًا دائمًا بلا نهاية؛ جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي [(١)].

وقد جاء النعت [(٢)] { يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ }ضمن أسلوب أمر على جهة التقريع والتوبيخ، مترتب على ما قبله، من نفي رجعهم إلى الدنيا، أو على الوعيد المحكي في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣ ﴾ [السجدة: ١٣]، ومعلل بما تبعه من سبب [(٣)].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: زيادة تبيين المنعوت { يَوۡمِكُمۡ }، وهو يوم القيامة؛ كما يفهم من السياق، وهذا هو الغرض الرئيس للنعت.

---

(١) يراجع: جامع البيان (١٧٧/٢٠)؛ وتأويلات أهل السنة (٣٣٦/٨)؛ والمحرر الوجيز (٣٦١/٤).

(٢) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا؛ بناءً على وجهين في الآية: الأول: أن فيها تنازعًا؛ حيث إن كلًا من «ذُوقوا» و«نَسِيْتُمْ» يطلبُ «لقاءَ يومِكم»، ويكون على حذف مضاف، والتقدير: ذوقوا عذابَ لقاءِ يومِكم هذا بما نَسِيْتُمْ عذابَ لقاءِ يَوْمِكم هذا، الثاني: أن يكون مفعول «ذُوْقوا» محذوفً، والتقدير: ذُوْقوا العذابَ بسببِ نسيانِكم لقاءَ يومكم؛ و تُعرب «هذا» على هذين الإعرابين نعتًا لـ «يومِكم»، وجوز بعضهم أن يكونَ «هذا» مفعولًا لـ «ذوقوا» والإشارةُ به إلى العذاب، والتقدير: فذوقوا هذا العذابَ بسببِ نِسيانِكم لقاءَ يومكم، والوجهان الأولان أرجح، وأعربه بعضهم بدلًا من (يومكم). يراجع: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٤٩)؛ والكتاب الفريد (٢٢٩/٥)؛ ومفاتيح الغيب (٢٥/ ١٤٦)؛ والبحر المحيط في التفسير (٣٤٦/٨)؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (دمشق: دار القلم، د.ط.ت) (٩/ ٨٦، ٨٧)؛ والجدول في إعراب القرآن (١١٠/٢١)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٥٩٧/٧)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (١٩٦/٩)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (٩٥٥/٣).

(٣) يراجع: فتوح الغيب (٣٤٢/١٢)؛ وتفسير ابن كثير (٣٢٣/٦)؛ وإرشاد العقل السليم (٨٤/٧).

– الثانية: الإشارة إلى معاينة المخاطبين لذلك اليوم، وتيقنهم من وقوعه؛ بدلالة قوله تعالى على لسانهم قبلها: ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ ﴾ [السجدة: ١٢][(١)].

– الثالثة: تهويل شأن اليوم المنعوت؛ فهو يوم بالغةٌ أهواله وشدائده مبلغًا عظيمًا؛ بحيث تقصر العبارة عن وصف تلك الأهوال والشدائد والإحاطة بها؛ لذا كان العدول عن العبارة إلى الإشارة [(٢)].

– الرابعة: مناسبة النعت باسم الإشارة لمقام الآية ونظمها [(٣)] وأغراضها من التقريع والتوبيخ وإلزام الحجة للمخاطبين وشدة الانتقام منهم؛ حيث التعيين والتحديد مع الإيجاز المستفادة من اسم الإشارة أبلغ في الدلالة على ذلك؛ لكون المنعوت (يومكم) من قبيل ما كذب المخاطبون بما يقع فيه من أحداث ومواقف؛ فضلًا عن وقوعه وحصوله [(٤)].

وللنعت دور في تماسك النص؛ حيث يعزز مقامات التقريع والتوبيخ وموقف إلزام الحجة في الحساب؛ بما يؤديه من زيادة تبيين للمنعوت، ودلالة على

(١) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٢٤).
(٢) يراجع: روح المعاني (١١/ ١٢٧)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢١/ ٢٢٦).
(٣) تضمنت الآية من أنماط النظم: تفريع الطلبي على الخبري وترتيبه عليه بالعطف(والتقدير: إذا حق القول فذوقوا)؛ تشديدًا للانتقام منهم، واستعمال الباء (بما نسيتم) المؤذنة بأن تعذيبهم ليس لمجرد سبق العيد به فقط، بل هو وسبق الوعيد أيضًا بسبب وجب له من قبلهم، وإضافة اليوم إلى ضميرهم تهكمًا، وتصدير الجملة الاسمية الدالة على الثبوت بإنّ (إنا نسيناكم) زيادة في التأكيد، والتعبير بالماضي (نسيناكم) الدال على التحقق، وتكرير الأمر بالذوق للتأكيد والتشديد، وإبهام المذوق (العذاب) أولًا ثم بيانه بتكرير الأمر وتوسيط الاستئناف (إنا نسيناكم) المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى. يراجع: فتوح الغيب (٣٤٣/١٢)؛ وإرشاد العقل السليم (٨٤/٧)؛ وعناية القاضي وكفاية الراضي (١٥١/٧)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢٢٥/٢١، ٢٢٦).
(٤) يراجع: الكشاف (٣/ ٥١١)؛ وفتوح الغيب (٣٤٣/١٢).

حضوره ومعاينته من قبل المخاطبين؛ ومن ثم تهويل شأنه لديهم؛ بما يحقق الجمع بين وجازة اللفظ وحصول غرض الكلام مع وضوحه.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه مع السياق الصوتي للآية عمومًا، كما تتفق معاني حروفه مع معاني (زيادة التبيين – المعاينة – التهويل) [(١)]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– المسألة الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ ﴾ (الزمر: ٧١).

وردت الآية ضمن سياق يبين أحوال الناس يوم القيامة، وهي تصور بعض أحوال أهل العقاب؛ من خلال مشهد حشرهم إلى النار التي أعدت لهم أفواجًا بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة؛ وفق تفاوتهم في الضلالة والشرارة، وسؤال خزنة النار لهم: ألم يأتكم رسل من جنسكم يتلون عليكم وحي ربكم ويبينون لكم حججه وبراهينه على الوحدانية والبعث، وينذرونكم ما تلقونه في هذا اليوم أو مصيركم فيه؟ وكان اعترافهم بالإثبات لى وجه من الندم؛ فقد جاءتهم الرسل وأنذرت، ولكنهم تكبروا وعاندوا؛ فوجب عليهم وعيد الله المقتضي للعذاب؛ جزاءَ كفرهم وعصيانهم [(٢)].

---

(١) حيث يناسب معنى الهاء زيادة التبيين، ويناسب معنى الذال الوضوح والمعاينة، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

(٢) يراجع: جامع البيان (٣٣٧/٢١)؛ وتأويلات أهل السنة (٧٠٩/٨، ٧١٠)؛ وبحر العلوم (١٩٥/٣، ١٩٦)؛ ومعالم التنزيل (١٠١/٤)؛ والمحرر الوجيز (٥٤٣/٤)؛ ومفاتيح الغيب (٤٧٨/٢٧)؛ وأنوار التنزيل (٤٩/٥)؛ وروح المعاني (١٢/ ٢٨٦)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٧٠/٢٤، ٧١).

وقد جاء النعت [1] {يَوْمِكُمْ هَٰذَا} ضمن نمط استفهام تقريري على جهة التبكيت والتوبيخ والتقريع والتنكيل بهم وإقامة الحجة عليهم؛ ليكون استحقاقهم العذاب سنة ثابتةً؛ بدلالة بناء الفعل للمفعول في قوله تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٧٢]؛ وكأن كل من رآهم، أو علم حالهم؛ يشهد عليهم باستحقاق العذاب [2].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

- الأولى: زيادة تبيين المنعوت { يَوْمِكُمْ } وتعيينه بالنسبة للمخاطبين [3]، وهذا هو الغرض الرئيس للنعت.
- الثانية: الإشارة إلى كون المخاطبين قد تيقنوا وقوع اليوم المنعوت، وعاينوا أهواله وشدائده؛ بدلالة اسم الإشارة (هذا) على معاني القرب والحضور والمشاهدة.
- الثالثة: الدلالة على كمال شدة اليوم وبلوغ أهواله مبلغًا عظيمًا؛ تقصر العبارة عن تشخيص ذلك ووصفه؛ مما يقتضي العدول إلى الإشارة [4]، وهو أيضًا أبلغ في تحقيق الإيجاز.

---

(١) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا في: الجدول في إعراب القرآن (٢١٢/٢٤)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٤٤٨/٨)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٢٢٠/١٠)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (١٠٩٠/٣)، وأعربه بعضهم بدلًا.

(٢) يراجع: لطائف الإشارات (٢٩٢/٣)؛ ومعالم التنزيل (١٠١/٤)؛ والمحرر الوجيز (٥٤٣/٤)؛ وأنوار التنزيل (٤٩/٥)؛ وتفسير ابن كثير (١٠٧/٧)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٧٠/٢٤).

(٣) اختُلف في المراد باليوم المنعوت؛ فقيل: المراد به وقت دخولهم النار، وليس يوم القيامة كله؛ فيكون من قبيل العام المراد به الخاص؛ وهذا جريًا على طريقة العرب في استعمال لفظ (اليوم) و(الأيام) في التعبير عن أوقات الشدة، وقيل: المراد به يوم القيامة؛ لاشتماله على هذا الوقت أو على ما يختص بهم من عذابه وأهواله. يراجع: الكشاف (١٤٦/٤)؛ ومفاتيح الغيب (٤٧٨/٢٧)؛ وأنوار التنزيل (٤٩/٥)؛ ومدارك التنزيل (١٩٤/٣)؛ وتفسير البحر المحيط (٢٢٤/٩)؛ وروح المعاني (١٢/ ٢٨٦).

(٤) يراجع: نظم الدرر (٥٦٦/١٦).

– الرابعة: يتآلف النعت باسم الإشارة مع بقية أنماط النظم [١] على تحقيق مقصود الآية من بيان شدة النكال بهم وسوء حالهم في الموقف؛ ترهيبًا من مصيرهم [٢].

وللنعت دور في تماسك النص؛ حيث يعزز مقامات التقريع والتوبيخ وموقف الحساب؛ بما يؤديه من زيادة تبيين للمنعوت، وحصول اليقين بوقوعه من قبل المخاطبين، وشدة أهواله؛ بما يحقق الجمع بين وجازة اللفظ وحصول غرض الكلام مع وضوحه.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم لفظه مع السياق الصوتي للآية عمومًا، كما تتفق معاني حروفه مع معاني (زيادة التبيين – اليقين بوقوعه – شدة أهواله) [٣]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

– المسألة الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ﴾ [الجاثية: ٣٤]

وردت الآية ضمن سياق يبين حال الكافرين المستكبرين والمكذبين يوم القيامة بعد أن أودعوا دار العذاب، حيث يقال لهم: اليوم ننساكم [٤] في عذاب

---

(١) من ذلك: بناء الفعل (سيق) للمفعول؛ للدلالة على كونه سوقًا عنيفًا مزعجًا، وبناء جملة مجيئهم ودخولهم النار على نمط الظرفية المضمن معنى الشرط (إذا ... فتحت)، ونمط الاستفهام (ألم يأتكم) على جهة التوبيخ والتقريع، وإضافة اليوم إلى ضميرهم وكأنه مختص بهم؛ لكونهم فيه، ووضع الظاهر (حقت كلمة العذاب الكافرين) موضع المضمر (علينا)؛ للإيماء إلى علية الكفر وتسببه في مصيرهم. يراجع: مدارك التنزيل (١٩٤/٣)؛ وتفسير البحر المحيط (٢٢٤/٩)؛ وإرشاد العقل السليم (٢٦٣/٧)؛ وروح المعاني (٢٨٦/١٢)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٧٠/٢٤).

(٢) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٦٩/٢٤).

(٣) حيث يناسب معنى الهاء زيادة التبيين، ويناسب معنى الذال الوضوح والاستقرار المفضيين إلى اليقين بالوقوع، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

٤ - يحمل النسيان في الآية على أحد وجهين: - الأول: أنه كناية عن الترك، والمعنى: نترككم في العذاب؛ كما تركتم العمل لذلك اليوم وما فيه.- الثاني: أنه من باب التمثيل، والمعنى: نصيركم

جهنم؛ جزاءَ نسيانكم لقاء ربكم في هذا اليوم، وما لكم من مانع ولا منقذ من هذا العذاب [١].

وقد وقع النعت [٢] {يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا} ضمن جملة تعليل للخبر الوارد في قوله تعالى: {وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ} على جهة التقريع والتوبيخ، والمقصود: تأييسهم من حصول عفو عنهم، أو وقوع نفع لهم من آلهتهم المزعومة [٣].

وفي النعت باسم الإشارة (هذا) دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: تمييز المنعوت {يَوۡمِكُمۡ} أكمل تمييز وزيادة تبيينه؛ احترازًا من أن يلتبس عليهم بيوم آخر [٤].

– الثانية: الإشارة إلى معاينة المخاطبين لذلك اليوم، وتيقنهم من وقوعه، ولقائهم جميع ما فيه، ويتناسب ذلك مع كون الآية في سياق ورد فيه إنكارهم للبعث [٥].

– الثالثة: الإشارة إلى الأهوال المتعددة في ذلك اليوم، بدايةً من البعث إلى حصول الجزاء على الأعمال؛ بعبارة أكثر اختصارًا من تعدادها؛ وفي هذا النمط فائدتان، هما: تحقيق الإيجاز، وكون التعبير باسم الإشارة أبلغ في تحقيق معنى

كالشيء المنسي لا يُكترث إليكم ولا يُهتم بكم؛ كما جعلتم هذا اليوم كالشيء المنسي؛ فلم تكترثوا إليه ولم تعملوا من أجله. يراجع: تأويلات أهل السنة (٢٣٤/٩)؛ والنكت والعيون (٢٦٩/٥).

(١) يراجع: جامع البيان (٨٧/٢٢)؛ والكشاف (٢٩٣/٤)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٣٧٤/٢٥).

(٢) ورد إعراب اسم الإشارة (هذا) نعتًا ليومكم في: الجدول في إعراب القرآن (١٦٢/٢٥)؛ وإعراب القرآن وبيانه (١٦٢/٩)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المنزل (٣٣/١١)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (١١٨٣/٣)، وأعربه بعضهم بدلًا.

(٣) يراجع: إعراب القرآن للنحاس (١٠٢/٤)؛ ونظم الدرر (١١٢/١٨)؛ وروح المعاني (١٥٩/١٣)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٣٧٤/٢٥، ٣٧٥).

(٤) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٣٧٤/٢٥).

(٥) يراجع: روح المعاني (١٥٩/١٣).

التهويل من التصريح بالعبارة [1]؛ وبهذا يتسق النعت مع بقية أنماط نظم الآية في تحقيق مقصودها من التأييس في حصول العفو أو النصرة لمثل هؤلاء المخبر عنهم.

وللنعت دور في تماسك النص؛ حيث يعزز مقامات التقريع والتوبيخ والاعتبار؛ بما يؤديه من تمييز للمنعوت المنكر عليهم، ودلالة على معاينته من قبل المخاطبين، والإشارة إلى أهواله؛ بما يحقق الجمع بين وجازة اللفظ وحصول غرض الكلام مع وضوحه.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه مع السياق الصوتي للآية عمومًا، كما تتفق معاني حروفه مع معاني (زيادة التبيين – المعاينة – التهويل) [2]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

المطلب الثاني: الدلالات التفسيرية للنعت بما الإبهامية:

جاء النعت بـــ (ما) الإبهامية في النظم القرآني في موضعين، وذلك على رأي من أعربها نعتًا؛ لذا أتناولهما بالدرس حسب ترتيب المصحف من خلال المسألتين الآتيتين:

– **المسألة الأولى: قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٦].

وردت الآية عقب سياق تناول إثبات صدق القرآن الكريم، وصفات المؤمنين والكافرين والمنافقين وبعض أفعالهم، ثم إثبات وحدانية الله تعالى، وصدق الرسول ﷺ، ووعيد من كذب بالنار، ووعد المؤمنين بالجنة، وتعتبر الآية جوابًا لنكير وارد من الكفار والمنافقين وأشياعهم على ما ضرب لهم من الأمثال؛ في نحو قوله

(١) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٣٧٥/٢٥).

(٢) حيث يناسب معنى الهاء تمييز المنعوت وبيانه، ويناسب معنى الذال المعاينة، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الذال. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧ – ١٩][(١)].

وقد وقع النعت [(٢)] { مثلا ما } ضمن جملة اسمية مؤكدة، مقصودها: تأكيد أن الله تعالى يضرب الأمثال للناس ويبين لهم الحقائق؛ ولا يبالي [(٣)] أن يتناول ذلك

---

(١) وقد ورد أيضًا أن الآية تعتبر جوابًا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب من أمثال بالذباب والعنكبوت ونحوها مما تستصغره نفوسهم في بقية القرآن غير سورة البقرة، واختار بعض المفسرين الجمع بين السببين؛ حيث لا مانع. يراجع: جامع البيان (٣٩٩/١، ٤٠٠)؛ معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٣/١)؛ وتأويلات أهل السنة (٤٠٦/١)؛ بحر العلوم (٣٦/١)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية (٢٠٠/١، ٢٠١)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٣٥٨/١).

(٢) ورد في إعراب (ما) على قراءة النصب في (بعوضة) وجوه؛ أهمها: أنها نعتٌ لـ (مثلًا)؛ على أنها (ما) الإبهامية، أنها زائدة (في الإعراب) للتوكيد، أنها نكرة موصوفة مفسرةُ بالبعوضة في محل نصب مفعول ثان لـ (يضرب) على تضمينه معنى جعل، أو تكون (بعوضة) بدلًا منها، أنها صلة مخصصة، تفيد النكرة تخصيصًا وتقريبًا، أنها بدل من (مثلًا). يراجع: إعراب القرآن للنحاس (١/ ٣٩، ٤٠)؛ النكت في القرآن الكريم (ص: ١١٩)؛ والكشاف (١١٤/١، ١١٥)؛ والمحرر الوجيز (١١١/١)؛ والتبيان في إعراب القرآن (٤٣/١)؛ والكتاب الفريد (٢٠٢/١، ٢٠٣)؛ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) (١٢٨/٤)؛ والجدول (٨٤/١)؛ وإعراب القرآن وبيانه (١/ ٦٨)؛ والإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (١/ ٣٥)؛ والمجتبى من مشكل إعراب القرآن (١/ ١٣). وقد رجح الإمام أبو حيان كونها صفةً في هذا الموضع؛ بناءً على أن كونها زائدة غير جارٍ على القياس. يراجع: البحر المحيط (١٩٨/١).

(٣) يطلق الحياء في الآية ويراد به الترك، أو الخشية، أو الامتناع؛ ويكون من باب التمثيل. يراجع: النكت والعيون (١/ ٨٧)؛ ولطائف الإشارات (٧٠/١)؛ والكشاف (١١٢/١)؛ والمحرر الوجيز (١١٠/١). وقد ذكر الإمام الرازي قانونًا لما ورد في القرآن من ألفاظ دالة على صفات لا يمكن إثباتها في حق الله تعالى على ظاهرها، وهو: أن لكل واحد من هذه الأحوال أمورًا توجد معها في البداية، وآثارًا تصدر عنها في النهاية، والصواب حملها على النهايات وليس على البدايات؛ مثاله: الغضب (بداياته): حالة تحصل في القلب عند غليان دم القلب وسخونة المزاج، (نهاياته): أثره المتمثل في إيصال الضرر إلى المغضوب عليه. يراجع: مفاتيح الغيب (١١٤/١)

عظائم الأمور أو سفاسفها؛ لأن ضرب المثل مما لا يستحيا من مثله [١].

وفي النعت بـــ (ما) الإبهامية دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: زيادة المنعوت { مثلا } النكرة شياعًا وإبهامًا، وسد كل طريق لتقييده أو تخصيصه، وهذا هو الأليق بمقام الآية وغرضها [٢].

– الثانية: يتسق النعت ب (ما) مع الدلالة على التنويع المستفادة من تنكير (مثلًا) من دلالة؛ والمعنى: أي مثل كان بأي شيء كان، صغيرًا كان أو كبيرًا؛ حيث جاءت (ما) لتأكيد معنى التنويع [٣].

وللنعت دور في تماسك النص؛ حيث يتسق مع مقصود الآية من الدلالة على الشيوع والعموم والتنويع؛ بما يؤديه من تأكيد شيوع المثل المنعوت وإبهامه؛ بطريقة موجزة ودقيقة.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه مع السياق الصوتي للآية عمومًا، كما تتفق معاني حروفه مع معاني (الشيوع والإبهام والتنويع) [٤]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

(٣٦١/٢)، وقيل: إن الحياء هنا لا يحتاج إلى تأويل؛ لأنه منفيٌ وليس مثبتًا. يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٣٦١/١).

(١) يراجع: جامع البيان (٣٩٩/١، ٤٠٠)؛ معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٣/١)؛ وتأويلات أهل السنة (٤٠٦/١)؛ بحر العلوم (٣٦/١)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية (٢٠٠/١، ٢٠١)؛ النكت في القرآن الكريم (ص: ١١٦)؛ والكشاف (١١١/١).

(٢) يراجع: أنوار التنزيل (٦٢/١)؛ تفسير البحر المحيط (١٩٨/١)؛ ونظم الدرر (١/ ٢٠٣).

(٣) يراجع: تفسير ابن كثير (١/ ١١٥)؛ تفسير التحرير والتنوير (١/ ٣٦٢)

(٤) حيث يناسب معنى الميم الاستواء المفضي إلى شيوع الحكم وشموله، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الميم. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

– **المسألة الثانية: قوله تعالى:**﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١﴾ [ص: ١١].

وردت الآية في ختام سياق مفتتح بالقسم، يتناول بيان بعض شبهات الكافرين وأحوالهم؛ من الحمية والتكبر عن التوحيد وإدراكه، وخلافهم وعداوتهم مع رسول الله ﷺ، ونكيرهم على دعوته للتوحيد وكونه رسولًا من عند الله تعالى، وبيان أنهم غير محقين فيما كل ما صدر عنهم [(١)].

وقد وقع النعت [(٢)] { جُندٌ مَّا } ضمن جملة استئناف بياني أو ابتدائي، مقصودها: بيان حقارة شأن هؤلاء الذين كفروا وعجزهم، في مقابل بشارة النبي ﷺ بنصرته عليهم؛ فما هؤلاء إلا جند مهزوم شأنهم في ذلك شأن من سبقهم من الأحزاب المكذبين [(٣)].

(١) يراجع: جامع البيان (٢١/ ١٥٧)؛ ومفاتيح الغيب (٣٦٩/٢٦، ٣٧٠).

(٢) ورد في إعراب (ما) وجوه؛ أشهرها: أنها إبهامية نعت لـ (جند)، أنها زائدة (للتوكيد أو للتقليل أو للتعظيم)، صلة مقوية للنكرة. يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٢٣/٤)؛ وإعراب القرآن للنحاس (٣٠٦/٣)؛ ومشكل إعراب القرآن لمكي (٦٢٤/٢)؛ والنكت والعيون (٨٠/٥)؛ التبيان في إعراب القرآن (١٠٩٨/٢)؛ والكتاب الفريد (٤١١/٥)؛ والبحر المحيط في التفسير (١٤٠/٩)؛ والجدول في إعراب القرآن (١٠٧/٢٣)؛ وإعراب القرآن وبيانه (٣٣٢/٨).

(٣) يراجع: جامع البيان (٢١/ ١٥٧)؛ تأويلات أهل السنة (٦٠٣/٨، ٦٠٤)؛ والكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م) (١٨٠/٨)؛ ولطائف الإشارات (٢٤٧/٣)؛ والكشاف (٧٤/٤، ٧٥)؛ وتفسير ابن كثير (٤٨/٧)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢١٧/٢٣، ٢١٨). وقد اختلف في المشار إليه بـ (هنالك)؛ فقيل: إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم، وقيل: إلى الارتقاء في الأسباب؛ أي: هم مهزومون إن راموا ذلك، وقيل: حماية الأصنام والآلهة المتعددة؛ أي: إنهم مهزومون في هذا الشأن، وقيل: يوم بدر، وقيل: حصار المدينة عام الخندق، وقيل: يوم فتح مكة؛ وتكون الثلاثة ألأخيرة من قبيل غيب المستقبل، وقد تحقق. يراجع: الكشاف (٧٥/٤)؛ المحرر الوجيز (٤٩٥/٤) ؛ ومفاتيح الغيب (٣٧٠/٢٦)؛ البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٤٠).

وفي النعت بـــ (ما) الإبهامية دلالات وفوائد؛ أهمها:

– الأولى: توكيد معنى الجند المراد وتخصيصه، وهذا هو الغرض الرئيس لنعت النكرات؛ أي: إن هؤلاء الكافرون ما هم إلا جند مخصوصون معروفون[١].

– الثانية: تحقير شأن (الجند)؛ من خلال ما تدل عليه (ما) من معنى التقليل، وتكون من باب قولهم: أكلت شيئًا ما؛ أي قليلًا، ويناسب هذا إسناد الهزيمة إليهم[٢].

– الثالثة: تعظيم شأن (الجند)؛ من خلال دلالة (ما) على الكثرة؛ وذلك على جهة الاستهزاء بهم؛ فهي بحسب اللفظ تدل على العظمة والكثرة، وفي نفس الأمر (مقصود الجملة) تدل على الذلة والقلة، وإن حمل ذلك على يوم بدر فالتعظيم بحسب مشاركة عظماء قريش فيه، وإن حمل على يوم الأحزاب فالتعظيم بالنظر إلى كثرة رجال الجند المشاركين من قبائل العرب [٣].

يضاف إلى ما سبق دور النعت بـــ (ما) الإبهامية في الآية في تماسك النص؛ حيث يتسق مع مقصود الآية من الدلالة التحقير والتهوين من شأن المقصودين بالخطاب؛ بما يؤديه من تأكيد شيوع حكم الهزيمة فيهم؛ بطريقة تجمع بين الإيجاز والدقة والشمول، ومن خلال إتمامه معنى الكلام ومقصوده؛

(١) يراجع: المحرر الوجيز (٤٩٥/٤).
(٢) يراجع: أنوار التنزيل (٥/ ٢٥)؛ وفتوح الغيب (١٣/ ٢٤٠)؛ والبحر المحيط في التفسير (٩/ ١٤٠)؛ ونظم الدرر (١٦/ ٣٣٩)؛ وإرشاد العقل السليم (٧/ ٢١٦).
(٣) يراجع: أنوار التنزيل (٥/ ٢٥)؛ والبحر المحيط في التفسير (٩/ ١٤٠)؛ وروح المعاني (١٢/ ١٦٢)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢١٩).

حيث يستفاد التعظيم والتحقير من التنكير، لكنه بالنعت يصير نصًا فيه [1]، وإدراك المخاطب له.

وللنعت كذلك أثر في رعاية الاتساق الصوتي للآية؛ حيث ينسجم صوت لفظه مع السياق الصوتي للآية عمومًا، كما تتفق معاني حروفه مع معاني (شيوع الحكم) [2]، وبما يحققه أيضًا من إطالة للكلام.

(١) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٢٣/ ٢١٩).

(٢) حيث يناسب معنى الميم الاستواء المفضي إلى شيوع الحكم وشموله، ويناسب معنى حرف المد تأكيد معنى الميم. يراجع: (ص:٤١) من هذا البحث.

الخاتمة

أولا : نتائج البحث:

أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج، أهمها:

١- لا يعتبر الإبهام المراد في أسماء الإشارة و(ما) الإبهامية نقصًا أو عيبًا فيهما؛ لأن المقصود به صلاحيتها للاستعمال في كل ما تصلح فيه، وعدم وجوب قصرها على شخص أو فرد معين، كما أن إبهام أسماء الإشارة بحسب الوضع فقط، لا بحسب الاستعمال.

٢- بين الأساليب اللغوية وفكرة النظم علاقة تلازم وترابط، ويشمل ذلك المستويين الإفرادي والتركيبي للكلام؛ بناءً على ما بين المستويين من تلازم أصلي لا يتصور انفكاكه؛ ومن ثم فللأساليب اللغوية منزلة كبيرة من النظم القرآني، وأثر من جهتي المعاني والمباني والسبك وغيرها.

٣- أضاف النظم القرآني للأساليب اللغوية إمكانات كبيرة؛ من جهة البعد الجمالي للتراكيب، وكذلك استحداث طرقٍ فنية للربط بين المفردات وبين الجمل والعبارات؛ دون أن يتجاوز بهذا النهج مسالك اللغة وأصولها وخصائصها.

٤- النعت بالمبهمات (اسم الإشارة – ما الإبهامية) جائزٌ من جهة اللغة عند فريق من النحويين؛ باعتبار أنها تؤول بمشتق، وتؤدي ما يؤديه النعت بالمشتقات من المعاني، ويدل النعت بأسماء الإشارة على معنى: الحضور والقرب، ويدل النعت بـ(ما) الإبهامية على إطلاق المنعوت وشيوعه، وتقع أسماء الإشارة نعتًا لكل من: العلم الخاص، والمضاف إلى المعرفة، وتقع (ما) نعتًا للنكرة.

٥- يندرج درس النعت في علم المعاني تحت بلاغة التقييد؛ وله دور مهم في تحقيق بلاغة الكلام، ومناسبة الكلام للمقام، وتماسك النص، والجانب النفسي للكلام؛ من خلال إتمامه المعنى المراد من جهة المتكلم، ومن ثمّ إدراكه من قبل المتلقي أو المخاطب.

٦- يتميز الدرس التفسيري لأسلوب النعت بمنهج يجمع بين تأصيل القواعد وبيان أثرها في المعنى والدلالة والمناسبة، وذلك دون انقطاع عن الأصل اللغوي، بل مع إضافة طاقات وجوانب دلالية جديدة؛ يشهد لذلك الفوائد ذكرها المفسرون في الباب؛ نحو: أن دلالة الصفة ترتبط بمكانة الموصوف، وأن الصفة قد تأتي لازمة لغير التقييد، وأنه لا مانع من أن تدل الصفة على أكثر من غرض، وغيرها.

٧- هناك ميزات في أسماء الإشارة تجعل النعت بها أكثر مناسبة للنظم من غيرها؛ بشرط أن توافق مقامًا وحالًا يقتضي النعت بها، وهذه الميزات هي: أن (أسماء الإشارة) في سياق النعت بها تدل على معين؛ فتكون أدق في التعبير من المشتقات، أن النعت باسم الإشارة يكون أولى من غيره إذا حصل في عقل المخاطب صورة الشيء المشار إليه؛ ومن هنا يكون في النعت باسم الإشارة تأكيدًا لحصول صورة المنعوت في ذهن المخاطب وإدراكه، أن النعت بأسماء الإشارة أكثر دقة في التعبير وإيجازًا (في حال قصد عدم الإطالة والاستغناء بالإشارة عن العبارة) من النعت بالمشتقات.

٨- في النعت بأسماء الإشارة دلالات تفسيرية، تظهر من خلال سياق الآية ومقصودها؛ منها:

- زيادة تبيين المنعوت وتوضيحه وتعيين المراد به بالنسبة للمخاطب (مثل: سفرنا هذا)، وزيادة تمييزه في حال إمكان وقوع الاشتراك فيه.

- الاتساق والتناسب مع مقصود الآية وسياقها؛ من خلال تأكيد جهة الكلام والسياق، وتعزيز غرض الآية والجملة.

- الإشارة إلى جوانب دلالية غير لفظية في الكلام؛ نحو معاني الحضور والمشاهدة والمعاينة والقرب ونحوها.

- الاتساق والتناسب مع منهج السورة من التحديد والتعيين (مثل سورة التوبة).

٩- في النعت بـــ (ما) الإبهامية دلالات تفسيرية، تظهر من خلال سياق الآية ومقصودها؛ منها:

- زيادة المنعوت شياعًا؛ بناءً على ما فيها من الإبهام؛ من خلال سد كل طرق التخصيص والتقييد.

- الاتساق والتناسب مع مقصود الآية والجملة وسياقهما وغرضهما.

- توكيد المعنى المراد من المنعوت وتخصيصه (مثل دلالة تنكير "جند" على التعظيم أو التحقير).

١٠- في النعت بالمبهمات عمومًا أسرار بيانية؛ منها:

- تحقيق أغراض بيانية متنوعة؛ مثل: التعظيم – التحقير – التأكيد – بيان أهمية المنعوت – ترجيح إرادة حقيقة المنعوت – تهويل الشأن.

- تحقيق مفهوم الإيجاز؛ من خلال ما يتضمنه من الإشارة إلى المعاينة والحضور والمشاهدة، ومن ثم الاستغناء بالإشارة عن العبارة.

- تحقيق تماسك النص؛ من خلال إتمام المعنى المراد، ووضوحه في ذهن المتلقي، ورعاية الإيقاع الصوتي.

- دور النعت في تحقيق التآلف بين أنماط نظم الكلام (مثل: كون الاستفهام لتقرير الفاعل في (أأنتم أضللتم).

- مناسبة النعت دائمًا للمقام الواردة فيه الآية والجملة.

- ثانيا : توصيات البحث:

١- عقد ملتقى دوري لدراسات النظم القرآني، ومتابعة صورته في الدراسات المعاصرة.

٢- استحداث مقرر: (النظم القرآني) لطلاب تخصص التفسير وعلوم القرآن في مرحلتي الجامعة والدراسات العليا.

٣- تدشين مشروع أزهري لتبسيط فكرة النظم ومضامينها، في صورة أبحاث علمية مدعومة، ومواد مسموعة ومرئية، تتضمن تحليل مسائلها وجزئياتها، بمنهج يجمع بين النظرية والتطبيق.

ثبت بالمصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).
- أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٥ هـ).
- أحكام القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- أحكام القرآن، عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤٠٥ هـ).
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (القاهرة: مكتبة الخانجي، الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت).
- أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- الأسلوب، أحمد الشايب (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الثانية عشرة، ٢٠٠٣م).
- أصول السرخسي، شمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسي (بيروت: دار المعرفة، د.ط.ت).

- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط.ت).
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، عصام الدين إبراهيم بن محمد الحنفي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت).
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين أحمد مصطفى درويش (حمص-دمشق-بيروت: دار الإرشاد للشئون الجامعية – دار اليمامة – دار ابن كثير، الرابعة ، ١٤١٥ هـ).
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنَّحَّاس (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢١ هـ).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى – ١٤١٨ هـ).
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد جمال عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، د.ت).
- الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (بيروت: دار الجيل، الثالثة، د.ت).
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ هـ).

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (القاهرة: طبعة الدكتور حسن عباس زكي، الأولى، ١٤١٩ هـ).
- البديع في علم العربية، ابن الأثير الجزري (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٢٠هـ).
- البرهان في أصول الفقه، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) (١٥٣/١).
- البرهان في علوم القرآن أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٩١هـ).
- البلاغة العربية المفترى عليها بين الأصالة والتبعية، أ.د/ فضل حسن عباس (عمّان: دار الفرقان، الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، أ.د/ محمد أبو موسى (القاهرة: دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.ت).
- البلاغة والأسلوبية، أ.د محمد عبد المطلب (بيروت، القاهرة: مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، الأولى، ١٩٩٤م).
- بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (القاهرة: دار المعارف، الثالثة، ١٩٧٦م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (بيروت: دار الهداية، د.ط.ت) [مادة: ن ظ م].
- تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط.ت).
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي (دمشق: دار القلم – دار كنوز إشبيليا، الأولى، د.ت).
- التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (القاهرة: مكتبة الأزهر الكبرى، الأولى، ١٣٥٦هـ-١٩٣٨م).
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (الرياض: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى، ١٤٣٠ هـ).
- تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م).
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى – ١٤١٩هـ).
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من الباحثين بإشراف أ.د مصطفى مسلم (الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م).
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محب الدين الحلبي، المعروف بناظر الجيش (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الأولى، ١٤٢٨هـ).
- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ٢٠٠١م)

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (القاهرة: دار الفكر العربي، الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م).
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).
- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني (صيدا- بيروت: المكتبة العصرية، الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد ابن أحمد القرطبي (القاهرة: دار الكتب المصرية، الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود عبد الرحيم صافي (دمشق- بيروت: دار الرشيد - مؤسسة الإيمان، الرابعة، ١٤١٨ هـ).
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (بيروت: دار العلم للملايين، الأولى، ١٩٨٧م).
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد بن إبراهيم الهاشمي (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.ت).
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط.ت).
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧هـ -١٩٩٧م).
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، أ.د عبد العظيم المطعني (القاهرة: مكتبة وهبة، الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الرابعة، د.ت).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (دمشق: دار القلم، د.ط.ت).
- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أ.د/ أحمد درويش، (القاهرة: مكتبة الزهراء، الأولى، د.ت).
- دفاع عن القرآن الكريم: أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية، أ.د محمد حسن حسن جبل (طبعة جامعية مصورة مخصصة لطلاب كلية القرآن الكريم بطنطا).
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م).
- الرسالة، الإمام محمد بن إدريس الشافعي (القاهرة: مكتبه الحلبي، الأولى، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥ هـ).
- زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.ت).
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد المعروف بالخطيب الشربيني الشافعي (القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية)، د.ط، ١٢٨٥هـ).

- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد ابن مالك (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن علي بن محمد الأُشْمُوني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- شرح التصريح على التوضيح، الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهري (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).
- شرح المفصل، أبو البقاء يعيش بن علي الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م).
- شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (الكويت: الطبعة العصرية، الأولى، ١٩٧٧م).
- شرح تسهيل الفوائد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بابن مالك (القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى،١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم الجَوجَري (المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م).
- شرح قواعد الإعراب لابن هشام، محمد ابن مصطفى القُوجَوي، المعروف بشيخ زاده (بيروت - دمشق: دار الفكر المعاصر- دار الفكر، الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ٢٠٠٨ م).

- شرح ملحة الإعراب، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (دمشق-بيروت: دار الكلم الطيب، الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- الصحاح، أبو نصر إسماعيل الجوهري (بيروت: دار العلم للملايين، الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)
- عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم، أ.د عبد القادر حسين، مجلة الفكر العربي (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٧م).
- العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، (الرياض: جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).
- علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس، المعروف بابن الوراق (الرياض: مكتبة الرشد، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م).
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).
- عناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)، شهاب الدين أحمد ابن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (بيروت: دار صادر، د.ط.ت).
- غرر التبيان في من لم يسم في القرآن، شيخ الإسلام بدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن جماعة (دمشق- بيروت: دار قتيبة، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (دمشق- بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، الأولى - ١٤١٤هـ).
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م).
- في النحو العربي: نقد وتوجيه، أ.د. مهدي المخزومي (بيروت: دار الرائد العربي، الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- الكافية في علم النحو، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (القاهرة: مكتبة الآداب، الأولى، ٢٠١٠م).
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني (المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه (القاهرة: مكتبة الخانجي، الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (بيروت: دار الكتاب العربي، الثالثة - ١٤٠٧هـ).
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م).
- الكليات، أبو البقاء الكفوي (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت).

- الكناش في فني النحو والصرف، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الملك المؤيد صاحب حماة (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الأولى، ٢٠٠٠م).
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري (دمشق: دار الفكر، الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م).
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (بيروت: دار صادر، الثالثة، ١٤١٤ هـ).
- لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت).
- اللغة العربية معناها ومبناها، أ.د تمام حسان عمر (بيروت: دار عالم الكتب، الخامسة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جنيّ (الكويت: دار الكتب الثقافية، الأولى، د.ت).
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، ١٣٨١هـ).
- المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأولى، ١٤٢٦ هـ).
- مجمل اللغة، أبو الحسين ابن فارس (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى - ١٤١٨ هـ).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ).
- المحيط في اللغة، أبو القاسم إسماعيل بن عباد (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م).
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (بيروت: دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- المرتجل في شرح الجمل، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب (دمشق: مجمع اللغة العربية، الأولى، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م).
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ، ١٤٢٠هـ).
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- معاني النحو، أ.د فاضل صالح السامرائي (عمّان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).
- المعجم الاشتقاقي المؤصل، أ.د/ محمد محمد جبل (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).
- معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، الأولى، د.ت).

- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، عبد الغني الدقر (بيروت- دمشق: دار القلم، الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أ.د أحمد مختار عمر (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
- معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي (دمشق: دار القلم، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثالثة،١٤٢٠هـ).
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (بيروت: دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (بيروت: مكتبة الهلال، الأولى، ١٩٩٣م).
- المقدمة الجزولية في النحو، أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (القاهرة: مطبعة أم القرى - دار الغد العربي، د.ط.ت).
- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون (القاهرة: المطبعة الأزهرية المصرية، الأولى، ١٣١١هـ).
- مناشئ الدلالة في القرآن الكريم، أ.د محمد سالم أبو عاصي (القاهرة: دار الحرم، الأولى، ٢٠٢١م).
- المنخول من تعليقات الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (بيروت- دمشق: دار الفكر المعاصر- دار الفكر، الثالثة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الثالثة، ١٩٨٦م).
- ميزان الأصول في نتائج العقول، علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (الدوحة: مطابع الدوحة الحديثة، الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢ م).
- النحو العربي أحكام ومعان، د. محمد فاضل السامرائي (دمشق: دار ابن كثير، الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).
- النحو القرآني: قواعد وشواهد، د. جميل أحمد ظفر (مكة الكرمة: طبعة خاصة بالمؤلف، الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- النحو الوافي، عباس حسن (القاهرة: دار المعارف، الخامسة عشرة، د.ت).
- نظرية اللغة في النقد العربي، أ.د عبد الحكيم راضي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، الأولى، ٢٠٠٣م).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط.ت).
- النكت في القرآن الكريم، أبو الحسن علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت).

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (الشارقة: جامعة الشارقة، الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ط.ت).